

ذكريات شهري الحج

(ذى القعدة وذى الحجة)

ايوب الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: ذكريّات شهري الحج

المؤلف: ايوب الحائري

مراجعة: الشيخ اليوسفي الغروي

الناشر: دار مشعر

الطبعة: ١٤٣٠ هـ

.....
جميع الحقوق محفوظة

الفهرس الإجمالي

تقديم :معاونية التعليم والبحوث

مقدمة المؤلف

الفصل الاول :ذكريات شهر ذى القعدة

جدول مناسبات شهر ذى القعدة

تمهيد : ذى القعدة، أعمال ومناسبات

تجديد بناء الكعبة المشرفة

ولادة السيدة المعصومة عليها السلام

النبي صلى الله عليه وآله و صلح الحديبية

ولادة الإمام الرضا عليه السلام

غزوة بنى قريظة

يوم دحو الأرض

خروج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة للحج

شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام

الفصل الثانى :ذكريات شهر ذى الحجة

جدول مناسبات شهر ذى الحجة

تمهيد : ذى الحجة، أعمال ومناسبات

زواج الإمام على عليه السلام من الزهراء عليها السلام

تبليغ سورة براءة في الحج

وصول النبي ﷺ إلي مكة لحجة الوداع

شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام

يوم التروية وخروج الحسين عليه السلام من مكة

يوم عرفة

شهادة مسلم بن عقيل وهانى

عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)

يوم الغدير (على عليه السلام وصى النبي ﷺ)

شهادة ميثم التمار رحمه الله

يوم المباهلة مع نصاري نجران

يوم تصدق الإمام على عليه السلام بالخاتم

نزول سورة الإنسان في أهل البيت عليه السلام

البيعة لعلى عليه السلام بالخلافة

واقعة الحرة في المدينة

يوم الختام للسنة الهجرية

اهمّ مصادر الكتاب

الفهرس التفصيلي

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾^(١)

مقدمة المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين.

لقد اهتم الإنسان أشد الاهتمام بالزمان والتاريخ كعامل مهم في حياته الفردية و الإجتماعية ، وأخذت كل أمة تسعى لكي تحفظ تراثها من خلال تسجيل زمن حدوث الوقائع ومكانها بحسب المبدأ التاريخي الذي تختاره .

و في الإسلام تزداد مكانة بعض الأيام والتواريخ ، بحسب الأحداث التي وقعت فيها ، أو التي ستقع فيها ، وهذا ما نلمسه من واقع حياتنا كمسلمين ، إذ وردت أحاديث كثيرة في فضل بعض الأيام بالخصوص ، فليلة القدر ، في القرآن ، خير من ألف شهر ، ويوم الجمعة لها خصوصية معينة ، وحدث هجرة الرسول ﷺ له مكانة عالية إذ جعل مبدأ للتاريخ في الإسلام ، فسميت السنة بالهجريّة نسبة إلى هذه الحادثة العظيمة وليست هذه منحصرة بالإسلام ، فقد اعتمد المسيحيون يوم ميلاد السيد المسيح ﷺ مبدأً لتقاويمهم تخليداً لذلك الحدث المهم وهكذا سائر الامم والاديان.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المجال ، هو التركيز على الاستفادة المثلى من هذه المناسبات لما فيه خير الإسلام والمسلمين ، ولا يتم ذلك إلا من خلال نشر الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة ، والسعي لتمثل تلك التجارب الإسلامية الناجحة في واقعنا المعاصر ، ولا سيما فيما يتعلق بذكرات الشخصيات الإسلامية الخالدة ، من خلال جعلهم قدوات في حياتنا العملية ، وتذكير الأمة بالقدرات العلمية والثقافية والنماذج الصالحة التي زخرت بها في كل العصور إلى يومنا هذا و ان ذالك مصداقا لتذكير المسلمين بايام الله وتعظيمها لشعائره.

إنّ عرض المناسبات الاسلامية السنوية بهذا الشكل بهدف واضح ومركّز وهو تكوين ثقافة واعية وهادفة منبعثة من المبادئ والعقائد التي سنّها إسلامنا العزيز ، ومواكبة لمسيرة مجتمع قام ببناء حضارة مميّزة فاقت الحضارة المادية منطلقاً من إيمانه الراسخ بثوابت وقيم وثقافة تشكل التراث الاسلامي الغني لطالما عمل على إحيائه والحفاظ عليه علماء هذه الأمة ومفكروها ، وجاء الدور الينا اليوم لكي نحياه ونحافظ عليه.

ومن هذا المنطلق وحيث ان المخاطب الاول في هذا المقال هم حجاج بيت الله الحرام جاء هذا الكتاب الموجز ، لتعريف الأمة الإسلامية بقسم من تاريخها المجيد من خلال عرض أهم المناسبات التي مرت بها ، في شهري ذي القعدة و ذي الحجة الحرامين .

و على ضوء هذا الهدف المقدس المنشود واحساسا بالمسؤولية والتكليف للمشاركة في احياء التراث الاسلامي المتمثل بتاريخه الحافل بالقيم والمبادئ . وتلبية لنداء الامام الخميني الراحل (قد سره) وخليفته بالحق ولي امر المسلمين الامام الحائمي (دام ظله) في نشر الاسلام المحمدي الاصيل في اقطار العالم الاسلامي اجبت دعوة معاونة التعليم والبحوث لبعثة الحج فقامت بتدوين مناسبات هذين الشهرين بثوب جديد فكان هذا الإنجازو العمل الرسالي الذي تمّ يوم ميلاد وليد

الكعبة وصيّ رسول الله ﷺ الإمام علي بن ابي طالب ﷺ اقدمه إلى عامّة المسلمين لاسيما ضيوف الرحمن ، حجاج بيت الله الحرام سائلاً المولي العزيز حسن القبول واستمرار التوفيق لمواصلة الطريق .
وأخيراً أرجوا أن ينتفع بهذا السفر المختصر إخوتي في الإيمان والإسلام، وأن أنتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وما توفيتني إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين ﷺ وصحبه الأخيار المنتجبين .

١٣ رجب الحرام / ١٤٣٠ هـ.ق ذكرى ميلاد وليد الكعبة

أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ

قم المقدسة -أيوب الحائري

الفصل الاول

ذكریات شهر ذی القعدة

جدول مناسبات شهر ذي القعدة

ت	اليوم	المناسبة	السنة
١	اوائل ذي القعدة	تجديد بناء الكعبة المشرفة	٢٠٠٤ ق الميلاد
٢	= / ١	ولادة السيدة المعصومة <small>عليها السلام</small>	١٧٣ هـ
٣	= / ٢	النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> و صلح الحديبية	٦ هـ
٤	= / ١١	ولادة الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>	١٤٨ هـ
٥	= / ٢٢	غزوة بني قريظة	٥ هـ
٦	= / ٢٥	يوم دحو الأرض	قبل التاريخ
٧	= / ٢٦	خروج النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> للحج	١٠ هـ
٨	آخر ذي القعدة	شهادة الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	٢٢٠ هـ

تمهيد

ذى القعدة، أعمال ومناسبات

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على شمس الهداية نبينا محمد وعلى الأقطار المضيئة الأئمة الطاهرين .
شهر ذي القعدة الحرام هو أول الأشهر الحرم ومن أعمال هذا الشهر ومهامه عمل ليلة النصف منه ، فقد روي في (الإقبال) عن أحمد بن جعفر بن شاذان قال : روي عن النبي ﷺ : أن في ذي القعدة ليلة مباركة وهي ليلة خمس عشرة ، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرحمة ، أجر العامل فيها بطاعة الله أجر مئة سائح له لم يعص الله طرفه عين . فإذا كان نصف الليل فخذ في العمل بطاعة الله والصلاة وطلب الحوائج ، فقد روي أنه لا يبقى أحد سأل الله فيها حاجة إلا أعطاه .

واليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر هو يوم دحو الارض : وهو أحد الأيام الأربعة التي خصت بالصيام بين أيام السنة وروي أن صيامه ، يعدل صيام سبعين سنة ، وهو كفارة لذنوب سبعين سنة^(١) وعلى رواية أخرى : ومن صام هذا اليوم وقام ليلته فله عبادة مئة سنة . فعن أمير المؤمنين عليه السلام : «إن أول رحمة نزلت من السماء إلى الأرض فى خمس وعشرين من ذى القعدة، ومن صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة مئة سنة، صام نهارها وقام ليلها»^(٢)

وقد ورد من الاعمال ليوم دحو الارض سوى الصيام والعبادة وذكر الله تعالى والغسل ركعتان صلاة ودعاء مخصوص من اراد الاطلاع علي كفيتهما فليراجع اعمال شهر ذي القعدة من كتاب مفاتيح الجنان . وقال السيد الداماد في رسالته المسماة الاربعة ايام في خلال يوم دحو الارض : ان زيارة الامام الرضا عليه السلام في هذا اليوم هي اكادابه المسنونة .

وفيما يتعلق بمناسبات شهر ذي القعدة فهناك مجموعة من الأحداث والوقائع الإسلامية نقدمها للقارئ الكريم بباقات خضراء مكللة بورود عطرة ، كذكرى تجديد بناء الكعبة المشرفة و ذكرى ميلاد السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وميلاد أخيها سيدنا ومولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

(١) مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذي القعدة عن الإقبال .

(٢) إقبال الاعمال ، أعمال شهر ذي القعدة .

وورد عن الامام الرضا عليه السلام : ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها ابراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة ... وقال عليه السلام في رواية اخرى : الا ان فيه يقوم القائم عليه السلام^١.
وهناك مناسبات اخرى في هذا الشهر ، كخروج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة لأداء الحج و غزوة بني قريظة ، وفي آخره ذكرى شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام وفيما يلي عرض لتلك الاحداث والوقائع بايجاز .

^١ (راجع مفاتيح الجنان ، أعمال شهر ذي القعدة .

(١)

تجديد بناء الكعبة المشرفة

(اوائل ذي القعدة / زمن النبي إبراهيم عليه السلام)

من المتواتر المقطوع به أن الذي جدّد بناء الكعبة إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل ، وأن الكعبة هي أول بيت وضعه الله تعالى للعبادة ، حتى قبل بيت المقدس ، لأن بيت المقدس بناه النبي سليمان عليه السلام ، وهو بعد إبراهيم الخليل بزمن ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ولكن هذه الآية وآيات أخرى تشير بشكل واضح إلى أن الكعبة كانت موجودة حتى قبل إبراهيم ، وكان قائماً منذ زمن آدم عليه السلام^(٢) ، ومما يكشف عن ذلك أيضاً قوله تعالى عن لسان إبراهيم نفسه : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٣) ، فإنّها تدل على أن الكعبة كان لها نوع من الوجود حين جاء إبراهيم مع زوجته ، وابنه إسماعيل الرضيع إلى مكة.

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى فقال : «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم (صلوات الله عليه) إلي الآخرين من هذا العالم بأحجار... فجعلها بيته الحرام... ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه...»^(٤).

فقد روى المسلمون وغيرهم أنه لما ولدت هاجر إسماعيل ؛ أمر الله نبيه إبراهيم أن يُسكنهما البيت الحرام ، وكان في ذلك الوقت على شكل قواعد ، فجاء إبراهيم وبرفقته هاجر وابنها إسماعيل وتركهما عند البيت الحرام دون ماء ولا كلاء ولا حتى خيمة تطبيقاً لإرادة الله ونزولاً عند بلائه ، فسألته هاجر ، أتركني في أرض لا يوجد فيها أحد؟ فقال لها : الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان ، وهو الذي يكفيكم ، ثم انصرف عنهما فلما بلغ (كداء) وهو جبل بذي طوى التفت إبراهيم ، وقال : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ، ثم مضى وبقيت هاجر ، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل ، فقامت هاجر في موضع السعي فصعدت على الصفا ، ولمع لها السراب في الوادي ، فظنت أنه ماء ، فنزلت في بطن الوادي ، وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها إسماعيل ، فعادت حتى بلغت الصفا ، وهكذا إلى سبعة أشواط ، فلما كانت على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعادت حتى جمعت حوله الرمال وزمّته ، فلذلك سميت زمزم ، وكانت قبيلة جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات ، فلما ظهر الماء بمكة لهاجر وابنها قالوا لها : من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي ؟ قالت : أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن ، وهذا ابنه ، أمره الله أن ينزلنا

(١) آل عمران : ٩٦.

(٢) الأمل في تفسير القرآن ١ : ٣٣٥.

(٣) إبراهيم : ٣٧.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة القاصعة.

هيهنا ، فقالوا لها : أتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم ؟ فقالت : حتى يأتي إبراهيم ، فلما زارهم إبراهيم في اليوم الثالث ، قالت هاجر : يا خليل الله إن ههنا قوماً من جرهم يسألونك أن تاذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا ، أفتأذن لهم في ذلك ؟ فقال إبراهيم : نعم ، فأذنت لهم هاجر ، فنزلوا بالقرب منهم ، وضربوا خيامهم ، فأنست هاجر وإسماعيل بهم ، فلما زارهما إبراهيم في المرة الثانية نظر إلى كثرة الناس حولهم ، فسرّ بذلك سروراً شديداً^(١).

تجديد بناء الكعبة المشرفة

مرت الأيام وبلغ إسماعيل مبلغ الرجال ، فأمر الله تعالى خليله إبراهيم أن يبني البيت ، وقد أرسل له جبرئيل ليعرفه موضع القواعد وخطها له ، فأخذ إسماعيل ينقل أحجار البيت من ذي طوى ، فجعل له جدراناً أربعة ، ورفعها إلى السماء تسعة أذرع^(٢) ، وجعل له أركاناً أربعة ، وسمى الشمالي بالركن العراقي ، والغربي بالركن الشامي ، والجنوبي بالركن اليماني ، والشرقي الذي فيه الحجر بالركن الأسود ، وتسمى المسافة التي بين الباب وركن الحجر بالملتزم ، لالتزام الطائف إياه في دعائه واستغاثته ، وأما الميزاب على الحائط الشمالي يسمى ميزاب الرحمة^(٣).

وقد جعل له بابين ، باباً إلى الشرق ، وباباً إلى الغرب ، والباب الذي إلى الغرب يسمى المستجار ، ثم لما فرغ من بنائه حج إبراهيم وإسماعيل^(٤) ، ونادي إبراهيم هلم الحج فلبى الناس الموجودون في زمانة ومن كان في أصلاب الرجال كما روى بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «لما أمر إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ببناء البيت وتم بناؤه ، قعد إبراهيم على ركن ثم نادى : هلم الحج ، فلو نادى هلموا إلى الحج لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً ، ولكنه نادى : هلم الحج ، فلبى الناس في أصلاب الرجال : لبيك داعي الله عز وجل لبيك داعي الله ، فمن لبى عشراً يحجّ عشراً ، ومن لبى خمساً يحجّ خمساً ، ومن لبى أكثر من ذلك فبعدد ذلك ، ومن لبى واحداً حجّ واحداً ، ومن لم يلب لم يحجّ»^(٥).

منزلة الكعبة عند الامم والاديان

كانت الكعبة مقدسة ومعظمة عند الأمم المختلفة ، فكانت الهند يعظمونها ، وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد البيوت السبعة المعظمة ، وكان الفرس يحترمون الكعبة أيضاً ، وكانت العرب أيضاً تعظمها كل التعظيم ، وتعدّها بيتاً لله تعالى ، وكانوا يحجون إليها من كل جهة وهم يعدون البيت بناء إبراهيم ، والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث ومن الاديان كانت اليهود تعظمها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم ، وكانت في الكعبة صورتا العذراء

(١) الميزان في تفسير القرآن ١ : ٢٨٨ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١ : ٢٨٨ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٣ : ٣٦٠ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن ١ : ٢٨٩ .

(٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥ ، ح ٩ .

والمسيح ، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضاً^(١). ولما جاء الاسلام اهتم بالكعبة وطهرها من الاوثان وابعد المشركين عنها ودعى المسلمين الي الحج الخالص الابراهيمي ولذا ينسب حج المسلمين إلى إبراهيم الخليل فيقال الحج الابراهيمي.

الحج في الاسلام

تعتبر عبادة الحج من اهم العبادات الاسلامية . وتذكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الاهمية والافضلية ، وأنه أحد الجهادين . فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : «سمعت أبا عبد الله يقول ويذكر الحج فقال : قال رسول الله ﷺ : هو أحد الجهادين ، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء . أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة ، وفي الحج ههنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج»^(٢) كما أن الحج عماد الدين وقوام وجوده ، فقد ورد في الحديث : «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(٣) . ويجب الحج في العمر مرة واحدة على الانسان البالغ المستطيع الذي يملك مصارف السفر ونفقاته ، ويرجع إلى أهله مع وجود ما يكفيهم دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب في حياته المعيشية أو حرج في أوضاعه الشخصية . ولكن في الوقت نفسه يستحب للانسان استحباباً مؤكداً تكراره ، فهو أفضل من كثير من العبادات^(٤) . ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج ، ويجب على ولي أمر المسلمين الزام المسلمين أن يقوموا بأداء هذا الواجب والانفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي .^٥

امتيازات الحج علي سائر العبادات^٦

الميزة الاولى : أن هذه العبادة تشتمل على عدة انواع من العبادات كالصلاة والصوم والجهاد والزكاة ، فالطواف بالبيت صلاة بالاضافة إلى وجود صلاة الطواف ، والاحرام مع محرماته نوع من الصوم والامساك عن الطيبات والشهوات ، والانفاق والهدي نوع من الزكاة ، والمشقة والسفر والاعمال المضنية نوع من الجهاد ، مضافاً إلى العبادات الاخرى كالوقوف والرمي والحلق فإنها ذات طبيعة مميزة لا نظير لها في العبادات الاخرى .

الميزة الثانية : الممارسة الجماعية الواسعة لهذه العبادة ، حيث يأتي المسلمون الحجاج من طبقات الامة كلها ، ومن كل فج عميق ، ليؤدوا هذه الفريضة في ايام معلومات بشكل جماعي ، ويلبوا فيها النداء الالهي الذي اطلقه

(١) الميزان في تفسير القرآن ٣ : ٣٦١ .

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ٧٧ ، ح ٢ .

(٣) وسائل الشيعة ٨ : ١٤ ، ح ٥ .

(٤) راجع جامع أحاديث الشيعة ١٠ : أبواب فضائل الحج .

(٥) دور اهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ج ٢

(٦) دور اهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ج ٢

إبراهيم (عليه السلام) ، يتحركون به على صعيد واحد وبشكل واحد يعبر عن المساواة الحقيقية بين بني البشر ،
ويحقق الوحدة الكاملة للامة بشكل عملي .

الميزة الثالثة : تنوع الاهداف المنشودة من هذه العبادة ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، أو في جانبها المادي والروحي ، أو في ابعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والاخلاقية .
وشرح ذلك وإن كان يحتاج إلى حديث واسع ، ولكن يحسن بنا أن نشير فيه إلى نص رواه الشيخ الصدوق عن الامام الرضا (عليه السلام) الذي تناول بعض الابعاد المعنوية والمنافع الدنيوية ، وكذلك الاهداف المقدسة التي استهدفها هذه العبادة الجماعية .

روى الصدوق ، عن الفضل بن شاذان (في حديث العلل التي سمعها من الرضا (عليه السلام) قال : «إن قال فلم امر بالحج ؟ قيل : لعله الوفادة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترب العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل ، مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان والاشتغال عن الاهل والولد وحظر النفس عن اللذات ، شاخصاً في الحر والبرد ثابتاً ذلك عليه دائماً ، مع الخضوع والاستكانة والتذلل ، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع..... ، من في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير ، وقضاء حوائج أهل الاطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الائمة (عليهم السلام) إلى كل صقع وناحية ..»^(١) .

وهناك تفاصيل كثيرة ترتبط بموضوع الحج تناولها الفقهاء في كتاب الحج والرسائل العملية الخاصة به المسماة (مناسك الحج) لا يتناسب ذكرها مع عنوان الكتاب .

(٢)

ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

(١/ ذي القعدة / السنة ١٧٣هـ)

ولدت فاطمة المعصومة عليها السلام في المدينة المنورة في الأول من ذي القعدة سنة (١٧٣هـ)، أبوها الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وأمها تسمى خيزران وتكنى بأُم البنين ، فهي أخت الإمام الرضا عليه السلام من الابوين . كانت فاطمة عليها السلام من أعظم نساء زمانها علماً وعملاً وعبادة وتقوى وأخلاقاً وفضلاً وتحملاً للمحن والمصائب، فقد فقدت عليها السلام أباهما وهي في العاشرة من عمرها، وفارقت أخاها الرضا عليه السلام بعد ذلك بمدة وجيزة، كما عاصرت قتل إخوانها الذين ثاروا في بقاع الأرض لدفع الظلم عن الناس منهم السيد احمد المعروف والمشهور عند الإيرانيين بشاه جراح وهو مع جمع من اخوته مدفونين في مدينة شيراز مركز محافظة فارس .

لقبت فاطمة عليها السلام بألقاب عظيمة منها كريمة أهل البيت عليهم السلام ، وفاطمة الثانية، وذلك لشدة شبهها بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام .

كما لقبت بالحدثة لكثرة علمها، ومن أشهر ألقابها (المعصومة)، لإيمانها العميق وشدة ارتباطها بربها ولعظيم تقواها.

وامتازت السيدة المعصومة عليها السلام بعلمها الواسع، وكانت من المحدثات التي روت عن أبيها وأخيها، كما كانت تجيب على استفتاءات الناس في غيابهما، حيث روي أنه أتى جمع من الشيعة إلى المدينة لكي يعرضوا بعض أسئلتهم على الإمام الكاظم عليه السلام، غير أنه عليه السلام وولده الإمام الرضا عليه السلام لم يكونا حاضرين في المدينة، فاغتم الجميع وكتبوا أسئلتهم وأودعوها في بيت الإمام، بنية أن يحصلوا على جوابها في سفرهم القادم، وعزموا على الرجوع إلى حيث جاؤوا، وإذا بأجوبة أسئلتهم تأتي من قبل السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وعندئذ تبدل حزنهم بفرح، ورجعوا إلى بلدتهم، وفي طريقهم التقوا بالإمام موسى الكاظم عليه السلام فأخبروه بما جرى، فنظر الإمام عليه السلام إلى أجوبة ابنته فقال: (فداها أبوها)^(١).

كما أنه بعد وفاة أبيها، وسفر أخيها الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان كانت المرجع الديني للناس في المدينة وبقيت

(١) نقلنا مطالب هذا العنوان عن كتاب لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

(٢) بحار الأنوار: ٩٩ كتاب المزار.

على هذه الحال ردحاً من الزمان ، غير أنها ولشدة تعلقها بأخيها الرضا عليه السلام ، حيث كانت تحبه حباً جماً ، وكان عزيزها الذي كانت تشعر بالأمن والراحة إلى جواره ، قررت عليها السلام أن تلتحق بالإمام عليه السلام في خراسان فتجهزت مع بعض إخوة الإمام وأبناء إخوته^(١).

خرج في قافلة السيدة المعصومة عليها السلام خمسة من إخوتها وهم : فضل وجعفر وهارون وقاسم وزيد ، ومعهم بعض أبناء إخوة السيدة المعصومة ، وعدة من العبيد والجواري ، وتحركت قافلة عشاق الإمام الرضا عليه السلام من المدينة المنورة قاصدين ديار الحبيب مرو في سنة ٢٠١ هـ ، ومرت الأيام والليالي والقافلة خلّفت صحراء الحجاز وراءها ، ومع أن قطع هذا الطريق الوعر والبعيد كان شاقاً على شابة مثل السيدة فاطمة ولكن شدة الشوق وأمل اللقاء بأخيها الرضا عليه السلام سهّل عليها صعوبة الطريق وعناء السفر ، وأخيراً وصلت القافلة إلى إيران ، وفي مدينة ساوة مرضت السيدة المعصومة عليها السلام مرضاً شديداً إثر مطاعب السفر^(٢) بحيث لم تقدر على مواصلة السير ، فسألت عن المسافة بين المكان الذي هي فيه وبين بلدة قم التي تضم الكثير من وجوه الشيعة ، فقيل لها المسافة عشرة فراسخ^(٣) فقالت : «احملوني إلي قم» فحملت ، ولما أشرفت على قم مرّ بطعنيتها راكب ، فسأل : لمن هذه الطعينة ؟ فقيل له : هي لفاطمة بنت موسى بن جعفر ، وهي وافدة من الحجاز للقاء أخيها أبي الحسن الرضا عليه السلام . فأقبل ذلك الرجل إلى مجلس موسى بن الخزرج الأشعري - وهو من وجوه الشيعة في قم آنذاك وزعيم الأشعريين - وكان حاشداً بالناس ، فقال الرجل وهو باك : «يا موسى ، لقد حلّ الشرف في بلدكم ، ونزلت الخيرات والبركات بساحتكم» ، فقال موسى : «لا زلت مبشراً بخير ما الذي جرى ؟» ، قال : «طعينة أخت الرضا عليها السلام مقبلة على قم».

فلما سمع موسى بكى فرحاً وخرج من قم مع أصحابه وجمع كثير من الناس لاستقبالها ، فلما وصل موسى إلى طعينة السيدة فاطمة عليها السلام تناول يد القائد لناقتها فقبلها ، وطلب منه أن يسلمه زمام الناقة ليقودها بيده وليتشرف بذلك ، فسلم إليه زمام الناقة فقادها موسى بيده حتى أنزل السيدة فاطمة عليها السلام بيته ، وكان ذلك في ٢٣ ربيع الأول سنة ٢٠١ للهجرة^(٤).

بقيت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في بيت موسى بن خزرج^(٥) سبعة عشر يوماً معززة مكرمة ، ثم توفيت في اليوم العاشر من ربيع الثاني سنة ٢٠١ هـ^(٦) ، قبل أن تحظى برؤية أخيها الإمام الرضا عليه السلام وتقرّ عينها به.

وفجع أهالي قم بتلك المصيبة وحزنوا حزناً شديداً ، وتولّت النساء تغسيلها وتكفينها ، ثم صلّى عليها موسى في حشد كبير من الشيعة

(١) ترجمة تاريخ قم : ٢١٣.

(٢) وقيل مرضت من أثر السم الذي دُس إليها في ساوة من قبل أعوان بني العباس.

(٣) أي : ٥٥ كم تقريباً ، وقد سمعت المعصومة عن آبائها من الأحاديث في فضل قم وأهلها مما جعلها تختار هذه البلدة للقدوم إليها.

(٤) ترجمة تاريخ قم : ٢١٣.

(٥) عرف واشتهر هذا البيت بعد ذلك بـ (بيت النور) ويقع في ميدان مير في شارع عمار بن ياسر.

(٦) وقيل توفيت عليها السلام في الثاني عشر من ربيع الثاني.

أهل البيت عليهم السلام في قم ، وبعد التشييع رأى زعماء الأشعريين أن يُدفن الجسد الطاهر في مكان مناسب غير المقبرة العامة ، فخصّص موسى بن خزرج بستاناً كبيراً له في منطقة يقال لها : «باغ بابلان» عند نهر قم^(١) لدفن السيدة المعصومة عليها السلام ، وبعد الدفن أقام الشيعة مأتم الحزن على السيدة المعصومة ، وبنى أهل قم كوخاً على مرقدها ، وبعد مضيّ خمسين سنة وباهتمام السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام بُنيت أول قبة على قبر السيدة المعصومة عليها السلام ، ثم جدّد بناء الحرم المطهر من قبل محبيّ وشيعة أهل البيت ، وتوسّع حتى أصبح بالشكل الذي هو عليه الآن : زاهراً كأنه جوهرة وسط مدينة قم . وأصبح هذا المكان والمقام المقدّس يقصد من مختلف نقاط إيران والعالم لزيارة هذه السيدة العلوية الجليلة إظهاراً للمحبّة الخالصة للنبي ولأهل بيته عليهم السلام .

وقد رأى زوّارها الكرامات العديدة منها منذ دفنها إلى يومنا هذا وقد جاء في فضل زيارتها واجر زوارها إنّ ثمن وأجر زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام هو الجنة ، وقد بشر ثلاثة من المعصومين عليهم السلام زوّارها بذلك . قال جدّها الإمام الصادق عليه السلام : «إِنَّ لِلَّهِ حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةُ، وَلِرَسُولِهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمًا وَهُوَ الْكُوفَةُ، وَلَنَا حَرَمًا وَهُوَ قُمْ، وَسُتَدْفَنُ امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ، مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٢) . وورد عن أخيها الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال : «مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٣) ، وقال عليه السلام : «مَنْ زَارَ الْمَعْصُومَةَ بِقَمٍ كَمَنْ زَارَنِي» وورد عن ابن أخيها الإمام الجواد عليه السلام «مَنْ زَارَ عَمَّتِي بِقَمٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٤) .

(١) وهو مزارها الفعلي المشيد. ثم إنّ موسى بن خزرج أوقف البستان على المسلمين كي يُدفن فيه الشيعة الموالون حول المرقد الشريف .

(٢) تاريخ قم ، وعنه في بحار الأنوار ج ٩٩ ، كتاب المزار .

(٣) بحار الأنوار ١٠٢ : ٢٦٥

(٤) بحار الأنوار ١٠٢ : ٧ ، ٢٦٦

(٣)

النبي ﷺ و صلح الحديبية

(٢ - ذي القعدة / السنة ٦ هـ)

روي القمي في تفسيره بسنده عن الامام الصادق عليه السلام : إن الله عز وجل، أرى رسول الله ﷺ في النوم أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام مع الداخلين، وطاف مع الطائفين وحلق مع المحلقين، وكان ذلك أمراً له بذلك فاخبر أصحابه بذلك وامرهم بالخروج فخرجوا^(١).

قال الواقدي: واغتسل رسول الله ﷺ في بيته ولبس ثوبين هما أصلاً من نسج حمّار (وهي بلدة في عمان)^(٢)، وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فلما نزل ذي الحليفة وكان قد ساق رسول الله ﷺ ستاً وستين بدنه^(٣) فأحرم بالعمرة وأشعرها عند إحرامه، وأحرم المسلمون ملبين بالعمرة مشعرين وقال ابن إسحاق: وإنما ساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً للبيت ومعظماً له فيأمن الناس من حربه (٣: ٣٢٢).^٤

وكان رسول الله في طريقه يستنفر الأعراب، فلم يتبعه أحد منهم، وكانوا يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر دارهم فقتلوهم؟ إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً^(٥).

وروى المفيد في الإرشاد: «نزل رسول الله ﷺ في منزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن ملك (أبي وقاص

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٥٩٩.

(٢) النهاية ٢ : ٢٥٣.

(٣) إعلام الوری ١ : ٢٠٣.

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٦٠٠.

(٥) تفسير القمي ٢ : ٣١.

الزهري) بالرواية، حتى إذا كان غير بعيد، رجع وقال يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم!

وهكذا حصل مع رجلين آخرين. فبعث ﷺ بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، فخرج علي بالرواية حتى ورد الحزار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي ﷺ فكبر النبي ﷺ ودعا له بخير^(١).

بيعة الرضوان: قال الطبرسي: قال رسول الله ﷺ إن الله أمرني بالبيعة. فبايعه الناس تحت الشجرة على أن لا يفروا عنه أبداً^(٢).

وبعثت قريش سهيل بن عمرو العامري، وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ للصلح، وعندما وصل سهيل بن عمرو وحويطب إلى رسول الله ﷺ قالوا: إن قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وتقطع أرحامهم وتجري عليهم عدوهم، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يدخلها^(٣).

وفي خبر القمي في تفسيره بسنده عنه ﷺ: فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وقالوا له: «وترد إلينا كل من جاءك من رجالنا، ونرد إليك كل من جاءنا من رجالك؟ فقال رسول الله ﷺ: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن: على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام، ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام فقبلوا ذلك، ورجع سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم بالصلح^(٤).

بنود صلح الحديبية:

«محمد بن عبد الله والملا من قريش وسهيل بن عمرو، اصطلحوا على:

وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكف بعض عن بعض، وعلى أنه لا اسلال ولا إغلال، وان وبينهم غيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يردوه إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه إليه.

وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعير، وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح الراكب أو سلاح المسافر: والسيوف في القراب^(٥).

هناك ملاحظة مهمة في صلح الحديبية، وهي أن المشركين رفضوا أن يذكر اسم محمد ﷺ مقروناً بالرسالة وكان الكاتب هو أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فتردد في الإستجابة لسهيل بن عمر، ولكن الرسول أمر أن يستجيب وقال: ستدعى

(١) الإرشاد ١: ١٢١ - ١٢٢.

(٢) إلام الوري ١: ٢٠٤.

(٣) روضة الكافي: ٢٦٨.

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٢٤.

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٢٩.

لمثلها وتجب ، إخباراً بالغيب عما سيؤول إليه حال الإمام مع معاوية في مؤامرة رفع المصاحف في حرب صفين.

(٤)

ولادة الإمام الرضا عليه السلام^(١)

(١١ / ذي القعدة / السنة ١٤٨ هـ)

الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام^(٢) ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في المدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة (١٤٨ هـ)، أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وأمّه خيزران، وقيل نجمة، وتكنّى بأُم البنين، وقيل غير ذلك، استشهد عليه السلام بطوس متأثراً بسَم دسه إليه المأمون في نهاية صفر سنة (٢٠٣ هـ) على المشهور، أو في السابع عشر منه كما في خبر آخر، وقضى أكثر عمره في مدينة جده، إلى أن استدعاه المأمون سنة (٢٠٠ هـ) إلى خراسان، ليكون ولياً للعهد وخليفة من بعده، فعاش فيها ثلاث سنوات من عمره الشريف، إلى أن توفي ودفن فيها، ولم يترك الإمام عليه السلام إلا ولداً واحداً هو الإمام الجواد عليه السلام، بناءً على (الإرشاد) للشيخ المفيد وله أربع بنون وبنت واحدة على رواية (كشف الغمة) للأربلي.

إمامة الإمام الرضا عليه السلام:

قام الإمام الرضا عليه السلام بعد أبيه بإمامة المسلمين عشرين سنة، قال الشيخ المفيد رحمته الله: كان الإمام بعد موسى بن جعفر: «ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام فضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه، وورعه، واجتماع الخاصة والعامة على ذلك منه، ومعرفتهم به، ولنص أبيه عليه السلام على إمامته من بعده وأشار إليه بذلك دون إخوته وأهل بيته»^(٣)، وبالإضافة إلى النصوص العامة على إمامة الأئمة الاثني عشر من النبي صلى الله عليه وآله، فلقد كان كل إمام ينص على الإمام من بعده ويؤيِّنه للمسلمين وشيعته، حتى لا يدَّعي الإمامة أحد من بعده.

من خصائص الإمام الرضا عليه السلام:

لا بد وأن يكون الإمام المعصوم، جامعاً لجميع العلوم والمعارف الإلهية والطبيعية، والفضائل والمكارم الأخلاقية، ليكون مناراً يهتدى به، وأسوة لجميع الناس يقتدى به، لأنه حجة الله في أرضه على خلقه، ويجب أن يكون في جميع

(١) نقلنا المطالب عن كتاب لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

(٢) ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في وجه تسميته بهذا اللقب انه: «رضى به المخالف من أعدائه كما رضى به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام (عيون أخبار الرضا ١: ١٣) ويقال إن المأمون هو الذي لقب الإمام بهذا اللقب.

(٣) الإرشاد: ٣٠٤

هذه الخصائص والصفات أعلى من غيره لتتم الحجة.

والإمام الرضا عليه السلام كجده المصطفى صلى الله عليه وآله وآبائه الأئمة البررة، قد اتصف بجميع تلك الخصال والصفات الحميدة، ولم تكن صفة يسمو بها الإنسان نحو الكمال إلا وهي موجودة فيه.

أما أخلاقه ؛ فيقول إبراهيم بن العباس الصولي : «ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قط ، ولا رأيت قط على أحد كلامه حتى يفرغ منه ، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها ، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قط ، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط ، ولا رأيت شتم أحداً من مواليه وماليكه قط ، ولا رأيت تفل قط ، ولا رأيت يقهقه في ضحكه قط ، بل كان ضحكه التبسم ، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته بماليكه ومواليه ، وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ، ويقول : ذلك صوم الدهر ، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ ، وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة ، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه»^(١).

وأما علمه : فقد أحاط الإمام بجميع العلوم ، وكان أعلم أهل زمانه ، وذلك مما اشتهر وهو الشيء البارز في شخصية الإمام عليه السلام لا يستطيع أن ينكره أحد ، وقد لقّب بعالم آل محمد ، وقد اعترف المأمون بنفسه أكثر من مرة ، وهو من العلماء البارزين ، وفي مناسبات عديدة أن الإمام الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض.

ومن مظاهر علم الإمام ومعرفته التامة ؛ إخباره عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها ، ومن جملة ما أخبر بحل بهم ، وقتل الأمين على يد أخيه المأمون ، وقتل المأمون له ، وقد تحقق كل ما أخبر به.

ومن مظاهر علم الإمام عليه السلام مناظراته في البصرة ، والكوفة وخراسان مع علماء اليهود والنصارى ، والمسلمين ، والتي اعترف له فيها جميع هؤلاء العلماء بالفضل والعلم والتفوق عليهم^(٢).

أقوال علماء أهل السنة في الرضا عليه السلام :

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) ، معلقاً على سند فيه الإمام الرضا عليه السلام : «لو قرئت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنونه»^(٣).

وجاء في كتاب (الثقات) لابن حبان (ت : ٣٥٤هـ) : «وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبي الحسن ، من سادات أهل البيت وعقلائهم ، وجلة الهاشميين ونبلاتهم.. ومات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته..

وقبره بسناباد خارج النوقان مشهور يزار ، قرب قبر الرشيد ، قد زرت مراراً كثيرة ، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالته عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة ، وهذا شيء جرّته مراراً فوجدته كذلك ، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين»^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٠ وبحار الأنوار ٤٩ : ٩٥.

(٣) أورده ابن حجر في صواعقه المحرقة : ٣١٠.

(٤) الثقات ٨ : ٤٥٦.

وهكذا مدح عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت: ٥٦٢هـ) الامام الرضا عليه السلام فقال في الأنساب: «والرضا كان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب»^(١).

وقال الفخر الرازي (ت: ٦٠٤هـ) عند تفسيره الكوثر: «والقول الثالث في الكوثر، أولاده: فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم على مر الزمان، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا...»^(٢).

دعبل الخزاعي عند الامام الرضا(ع)

جاء في رواية أبي الصلت الهروي^(٣) أنه قال: دخل دعبل الخزاعي على الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مرو بعد بيعة الناس له بولاية العهد، فقال: يا بن رسول الله، إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال له الإمام الرضا عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشده دعبل:

ذكرتُ محلَّ الرَّبِّعِ ^(٤) من عَرَفاتِ	فأجريتُ دَمْعَ العَيْنِ بِالْعَبْرَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ	وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ ^(٥)
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ	وَحِمْزَةُ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّفَنَاتِ ^(٦)
مَنَازِلُ كَانَتْ لِلصَّلَاةِ وَلِلتَّقَى	وَلِلصَّوْمِ وَالتَّطَهِيرِ وَالْحَسَنَاتِ
أَفَاطِمُ لَوْ خِلَتْ الْحُسَيْنَ مُجَدِّلاً	وَقَدْ مَاتَ عَطْشَاناً بِشَطِّ فُرَاتِ
إِذْ لِلطَّمْتِ الْخَدَّ فَاطِمُ عَنْدَهُ	وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَنَاتِ
أَفَاطِمُ قَوْمِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَانْدُبِي	نُجُومَ سَمَآوَاتِ بَأْرَضِ فَلَآةِ
قُبُورٍ بِكَوْفَانٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةِ	وَأُخْرَى بِفَخٍّ ^(٨) نَالَهَا صَلَوَاتِي
وَقَبْرِ بَأْرَضِ الْجُوزْجَانِ ^(٧) مَحَلَّهُ	وَقَبْرِ بِيَاخْمَرِي ^(٩) لَدَى الْغُرَبَاتِ
قُبُورٍ بِجَنْبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا	مُعَرَّسَهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
تُوفُوا عَطَاشِي بِالْعَرَاءِ فَلْيَتَنِي	تُوفِيَتْ فِيهِمْ قَبْلَ حِينٍ وَفَاتِي

(١) الانساب ٣: ٧٤.

(٢) تفسير الرازي ١٦: ١٢٥/٣٢.

(٣) هو من خيرة أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وقد توفي في طوس ودفن فيها وله مقام في ضواحي مشهد المقدس يقصده الزوار.

(٤) الربع: موضع في عرفات، يتوقف به ويطمأن.

(٥) العرصات: الساحات.

(٦) الثفنات: علامات في الجبهة من كثرة السجود.

(٧) هناك مدينتان باسم الجوزجان: احدها في شمال إيران، والأخرى في أفغانستان، وفي كليهما يوجد قبر ومقام ليحيى بن زيد الشهيد الذي قطع رأسه، ولعل في احدهما رأس يحيى وفي الأخرى جسده الشريف.

(٨) فخ: موقع بمكة وقعت فيه حادثة فخ حيث استشهد جمع من بني هاشم على يدي أعوان بني العباس.

(٩) باخمري: مكان بين الكوفة والواسط في العراق، فيه قبر القاسم أخو الإمام الرضا عليه السلام.

وَقَبْرُ بَغْدَادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ^(١)

ولما وصل دعبل إلى هذا البيت من القصيدة، قال له الإمام الرضا عليه السلام:

«أفلا ألحق لك بيتين بهذا الموضع، بهما تمام قصيدتك؟»، فقال: بلى يا بن رسول الله، فقال الإمام الرضا

عليه السلام:

وَقَبْرُ بَطُوسٍ^(٢) يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ أَلَحَّتْ عَلَيَّ الْأَحْشَاءُ بِالزُّفَرَاتِ^(٣)
إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا بِ_____ الزُّفَرَاتِ^(٣)
يُفَرِّجُ عَنَّا الْغَمَّ وَالْكَرْبَاتِ

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ قال الإمام الرضا عليه السلام:

«هُوَ قَبْرِي، وَلَا تَنْقُضِي الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَصِيرَ طُوسٌ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَزُؤَارِي، أَلَا فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرَبَتِي

بَطُوسٍ كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَهُ»^(٤).

(١) الغرفات: غرف الجنة.

(٢) دُفِنَ الإمام عليه السلام في قرية سناباد نوقان من قرى طوس، وقد عرفت بعد ذلك بمشهد لشهادته الامام فيها و طوس هي من مدن محافظة خراسان القديم وتقع حالياً قرب مشهد، وفيها قبر الشاعر الإيراني المعروف الحكيم أبو القاسم الفردوسي.

(٣) الزُّفَرَات: تتابع الأنفاس من شدة الغم والحزن.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٩٥.

(٥)

غزوة بنى قريظة

(٢٢ / ذي القعدة / السنة ٥ هـ)

لما قدم رسول الله ﷺ في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة، كان من أول ما أقدم على فعله عقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة وما حولها، ذلك لأجل إنهاء جميع أشكال الاختلاف والتنازع والصراع الداخلي، وتوحيد المدينة سياسياً وعسكرياً.

فأقام ميثاقاً بين الأوس والخزرج، وبين أهل المدينة واليهود من بني النضير، وقينقاع وقريظة في أن يعيشوا جميعاً بأمان، وأن يدافعوا عن المدينة وما حولها.

هذا ما كان بين رسول الله ﷺ وبين الطوائف الثلاثة من اليهود القاطنين حول المدينة، ولكن اليهود - جرياً على عادتهم في نقض العهود والمواثيق والإفساد في الأرض - لم يراعوا لرسول الله ﷺ عهداً ولا ذمة، فأقدم بنو قينقاع على قتل مسلم ظلماً وعدواناً، كما أن بني النضير خططوا لاغتيال رسول الله ﷺ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أجلاهم عن المدينة، وإنما ذلك نزولاً عند رغبة الخزرج وبخاصة عبد الله بن أبي^(١) بشأن بني النضير. وإلا فكان له الحق في قتل رجالهم وسبي نسائهم وذرائعهم، عملاً بالعهد والميثاق الذي أبرمه معهم، وأما بنو قريظة فقد تعاونوا مع الأحزاب في وقعة الخندق للقضاء على النبي والمسلمين، فلما انهزم الأحزاب وغادرت آخر مجموعة من جيوشهم أرض المدينة خائفة ذعرة، وبعد هذا نادى منادي رسول الله ﷺ لصلاة الظهر، وبعد أن صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر، نادى منادياً على لسان النبي ﷺ: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

فعقد النبي ﷺ رأيته لعلي عليه السلام وخرج ومعه الجيش، فوصلت الأنباء إلى بني قريظة بتحريك النبي ﷺ إليهم فبادروا إلى إغلاق أبواب الحصون والتحصن في داخلها، فوصل المسلمون وحاصروا الحصون، ونشبت بينهما في اللحظات الأولى الحرب.

غير أن المسلمين حاصروا حصونهم ومنعوا من دخول المعونات عليهم، وبقي الأمر على هذه الشاكلة قرابة ١٥ يوماً.

فاشتد الحصار عليهم وقد اجبروا على الاتفاق على واحدة مما يلي لمعالجة الموقف، وهي:

(١) المغازي للواقدي ١: ١٧٧.

١- أن يؤمنوا برسول الله ، ويصدقونه ؛ لأنه قد تبين لهم أنه نبي مرسل ، وأنه ﷺ الذي يجدونه في كتابهم ، وبذلك يأمنون على دمائهم وأموالهم ونسائهم ، وأبنائهم.

٢- أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ، ثم يخرجوا إلى محمد وأصحابه يقاتلونهم ، فإذا هلكوا لم يتركوا وراءهم نساءً ولا نسلاً يخشى عليهم ، وإن انتصروا تزوجوا من جديد ، ووجدوا أبناءً لهم ونساء.

٣- أن الليلة هي ليلة السبت ، وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد مَنّاهم فيها ، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون في السبت ، فلينزلوا من الحصون لعلمهم يصيبون من محمد وأصحابه على غفلة^(١).

واستمرت المحاصرة أياماً فطلبوا ان يبعث إليهم النبي ﷺ أبا لبابة الأوسي ليتشاوروا معه في الموقف ، وقد كان حليفاً لهم قبل دخوله الإسلام ، فأرسله ﷺ إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟

فقال لهم: نعم وأشار بيده إلى حلقه ، يريد أنهم سوف يقتلون ، وأن النبي ﷺ لن يحقن دماءهم لو سلموا إليه. أدرك أبو لبابة أنه خان بفعله هذا المسلمين ، ومصالح الإسلام العليا ، وافشى سراً كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه ، وقد نزل في خيافته قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، فندم أبو لبابة ندماً شديداً ، فخرج من حصن بني قريظة وهو يرتجف ويقول: إني خنت الله ورسوله ، وانطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ مع أنه ﷺ كان ينتظر رجوعه إليه - فربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته ، وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ما صنعت ، فبلغ النبي ﷺ خبره فقال ﷺ: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.^(٣)

وبقي أبو لبابة مرتبطاً بالعمود ، وكانت زوجته أو ابنته تأتيه في مواعيد الصلاة ، وتحل رباطه ، فيصلّي ثم تعيد الرباط ، فما مضى سبعة أيام حتى نزلت توبته في سحرها ، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُؤْاْ غَتْرُقُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

وقد حاول بنو قريظة ان يفاوضوا النبي ﷺ حتى وصلوا إلى ان يدفعوا إليه ما يملكون ويتركون حصونها ويخرجون ، كما فعل ﷺ ببني النضير وقينقاع ، غير أن النبي ﷺ أجاب: لا ، إلا أن تنزلوا على حكمي.

وفعلًا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ففتحوا الحصون ، ودخل علي ﷺ في كتيبة خاصة من المسلمين ، وجرّدوا بني قريظة من السلاح وحبسوهم في منازل بني النجار ليقرر النبي ﷺ مصيرهم.

فجاء الأوسيون الذين كانوا متحالفين مع بني قريظة إلى رسول الله ﷺ وأخذوا يستميلون النبي ﷺ عن قتلهم وأصرّوا عليه إصراراً شديداً بأن يعفوا عنهم ، وذلك منافسة للخزرج حيث تشفعوا من قبل في بني قينقاع الذين كانوا

(١) السيرة النبوية ٢ : ٢٣٦.

(٢) الأنفال : الآية ٢٧.

(٣) السيرة النبوية ٢ : ٢٣٦.

(٤) التوبة : الآية ١٠٢.

متحالفين معهم ، فأجابهم النبي ﷺ :

ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟

فقالوا: بلى.

قال ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ فهو يحكم فيهم.

والطريف في الأمر أن بني قريظة رضوا أيضاً بحكم سعد ، حيث بعثوا إليه ﷺ : يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ.^(١)

وجاء سعد لينفذ حكمه وكان جريحاً ، فحكم بأن يقتل رجال بني قريظة ، وتقسم أموالهم وتسبي ذراريهم ونساءهم^(٢).

(١) الإرشاد: ٥٠.

(٢) السيرة النبوية ٢ : ٢٤٠.

(٦)

يوم دحو الأرض

(٢٥ / ذي القعدة / قبل التاريخ)

أن الله تعالى أول ما خلق الأرض خلقها من الماء، والظاهر أنه كان ذلك بعد خلق السماء، ويشعر بذلك الآيات التي تقدم ذكر السماء على الأرض عند استعراض خلق الله تعالى، ولقد خلق الله تعالى الكعبة الشريفة قبل دحو الأرض بألفي عام على ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام : حيث قال عليه السلام : «وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في آتيانه فحثهم علي تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه، وقبله للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلي غفرانه، منصوب علي استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام..^(١)، ثم بسط الأرض على الماء وبدأ البسط من تحت الكعبة المشرفة، إذن فمعنى الدحو الانبساط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا × أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾^(٢)، أي بسطها، وهذا اليوم هو أحد الأيام الأربعة التي خصت بالصيام بين أيام السنة وروي أن صيامه، يعدل صيام سبعين سنة، وهو كفارة لذنوب سبعين سنة^(٣).

وفي فضل هذا اليوم ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : «إن أول رحمة نزلت من السماء إلي الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة، ومن صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة فله عبادة مئة سنة، صام نهارها وقام ليلها»^(٤).

(١) بحار الأنوار ٢ : ٣٣ ح ٧.

(٢) النازعات : الآيتين ٣٠ - ٣١.

(٣) مفاتيح الجنان : اعمال شهر ذي القعدة.

(٤) إقبال الاعمال، أعمال شهر ذي القعدة.

(٧)

خروج النبي ﷺ من المدينة للحج

(٢٦ / ذي القعدة / السنة ١٠ هـ)

في أواخر السنة العاشرة للهجرة قرر النبي ﷺ أن يسير إلى حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، فأمر مناديه أن ينادي في المدينة وبين القبائل بأن رسول الله ﷺ يقصد مكة للحج هذا العام ، فأحدث ذلك شوقاً وابتهاجاً عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين ، فتهيأت أعداد كبيرة لمرافقة رسول الله ﷺ ، وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي ﷺ وتوجهه إلى مكة^(١).

وفي مطلع اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة ، وقد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانة الأنصاري ، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة ، وعندما بلغ الموكب ذي الحليفة - وهي نقطة فيها مسجد الشجرة - أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة ، ثم أحرم ولبي بقوله : «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك...».

وهذه التلبية هي في الحقيقة تلبية لنداء إبراهيم الخليل ، كما أنه ﷺ كان يكرر هذه التلبية كلما شاهد راكباً ، أو علا مرتفعاً من الأرض ، أو هبط وادياً ، ولم يقطع تلبيته حتى شارف مكة في الثالث من ذي الحجة وسيأتي تفصيل ذلك في مناسبات شهر ذي الحجة في قضية حجة الوداع^(٢)

(١) سرية الخلبية ٣ : ٣٨٩.

(٢) المناسبات النبوية ، ادوار ومواقف .

(٨)

شهادة الإمام محمد الجواد عليه السلام

(آخر ذي القعدة / السنة ٢٢٠ هـ)

الإمام التاسع من أئمة أهل البيت عليه السلام المطهرين المعصومين ؛ هو الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ،

وأمه سبيكة من أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولادته كانت في المدينة المنورة في ليلة الجمعة (١٩) من شهر رمضان سنة ١٩٥ هـ ، ويكنى أبا جعفر الثاني تميزاً له عن جده الإمام الباقر (أبي جعفر) ، من ألقابه الجواد والتقي .

تزوج أولاً بأم الفضل بنت المأمون ، وبعدها سمانة المغربية ، وله ولدان ، هما الإمام علي الهادي ، وموسى . وبناتان هما : فاطمة وأمومة ، عاصر عهدي المأمون والمعتصم .

تميزت ظروف الإمام الجواد عليه السلام ، بمميزات كثيرة ، أهمها صغر سنه ، فقد قام بالإمامة وهو ابن ثمان سنين ، فكان لموضوع عمره الشريف خصوصية خاصة في لفت الأنظار إليه ، حتى قيل إنه سئل في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة^(١) .. وكان وقع كلامه يفصح عن مكنون النبوة بشكل مثليج لصدور المتقين وكان مفحماً ومغيضاً لصدور المنافقين والجبابة ، فإن في إجاباته مع صغر سنه معجزة جذبت إليه قلوب الخلق ، وقد يستغرب المرء هذا المقال حول الإمام الجواد عليه السلام مع أنه تواتر به النقل ، ورواه العلماء في كتبهم ، وهذا ليس بكثير على الإمام الجواد عليه السلام وهو الوارث لأبائه عليهم السلام علماً وفهماً ، لكن الشيخ المجلسي رحمته الله ، يقول في بحار الأنوار تعليقاً على ما قيل في أنه عليه السلام أجاب على (٣٠٠٠٠) مسألة في مجلس واحد ، بأمور هي :

أولاً : إن الكلام محمول على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة .

ثانياً : يمكن أن يكون في خواطر القوم أسئلة كثيرة متفقة ، فلما أجاب عن واحد فقد أجاب عن الجميع .

ثالثاً : أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلماته الموجزة ، المشتملة على الأحكام الكثيرة ، وهذا وجه قريب .

(١) أصول الكافي ١ : ٤٩٦ ، المناقب ٢ : ٤٣٠ .

(٢) بحار الأنوار ١٢ : ١٢٠ .

إلى غيره من ما يعني الإعجاز وبسط الزمان الذي يقول به الصوفية.. والتي كلها تعني شيئاً واحداً وهو تمييز الإمام الجواد عليه السلام، بالرد المقتنع السريع المعجز الذي زاد في حنق العباسيين عليه، مما دفع المعتصم العباسي إلى إشخاصه من المدينة إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)، ثم دس له السم على يد زوجته أم الفضل بنت المأمون. وقد وصل بغداد في الثامن والعشرين من المحرم من ذلك العام حتى تسنى للسم أن ينال الجسد الطاهر في اليوم الآخر من ذي القعدة من نفس العام (٢٢٠هـ).

قصة استشهاد الامام الجواد (ع)

فقد روي : « أن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار على ابنة المأمون زوجته بأن تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها من ضررتها . . . فأجابته الى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعت بين يديه ، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي فقال : ما بكأؤك ؟ والله ليضربنك الله بفقر لا ينجر ، وبلاء لا ينستر ، فماتت بعلة في اغمص الموضع من جوارحها ، صارت ناصوراً فانفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلة ، حتى احتاجت الى الاسترفاد^١ وأثر السم في الإمام تأثيراً شديداً حتى لفظ انفاسه الاخيرة ولسانه يلهج بذكر الله تعالى ، وقد انطفأت باستشهاده شعلة مشرقة من الامامة والقيادة المعصومة في الاسلام .

وجُهِزَ بدن الإمام عليه السلام فغسل وأدرج في اكفانه ، وبادر الوثائق والمعتصم فصليا عليه^٢ ، وحمل الجثمان العظيم الى مقابر قريش في الكرخ ، وقد احتفت به الجماهير الحاشدة ، فكان يوماً لم تشهد بغداد مثله فقد ازدحمت عشرات الآلاف في مواكب حزينة وهي تردد فضل الإمام وتندبه ، وتذكر الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون في فقدهم للإمام الجواد عليه السلام وحفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جده العظيم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

و كان استشهاد الإمام الجواد عليه السلام سنة (٢٢٠ هـ) يوم الثلاثاء خمس خلون من ذي القعدة ، وقيل : خمس ليال بقين من ذي الحجة ، وقيل : في آخر ذي القعدة^٣. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم بيعث حياً.

^١ (بحار الانوار ٥٠ : ١٧ .

^٢ (ان الصلاة من قبلهما على الإمام عليه السلام إنما هو للتعظيم الإعلامي على قتل الإمام عليه السلام فلا شك من حضور الإمام الهادي عليه السلام عند تجهيز أبيه الجواد عليه السلام . راجع النص من الإمام الهادي على حضوره تغسيل وصلاة ودفن أبيه في مسند الإمام محمد الجواد عليه السلام : ١٢٥ .

^٣ (حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام : ٢٦٣

وأما عمر الإمام الجواد عليه السلام حين قضى نخبه مسموماً فكان خمساً وعشرين سنة [١٦] على ما هو المعروف ،
وهو أصغر الأئمة الطاهرين الاثني عشر (عليهم السلام) سنّاً ، وقد أمضى حياته في سبيل عزة الاسلام
والمسلمين .

الفصل الثاني

ذكريّات شهر ذي الحجة

تمهيد

ذِي الْحِجَّةِ ، أَعْمَالٌ وَمُنَاسِبَاتٌ

شهر ذي الحجة الحرام هو من الشهور المهمة العبادية التي جعل الله تعالى فيها مواقيتاً بغية تعميق العلاقة والارتباط به والتفرغ له عما سواه ، خصوصاً العشرة الأولى منه حيث جعلها الله تعالى موعداً للقائه والتقرب منه والزلفة إليه ، وهي المراد بقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ...﴾^(١) ، وهي العشرة التي أتم بها موسى ﷺ ميقاته مع ربه.

وهو شهر شريف وكان صلحاء الصَّحابة والتَّابعين يهتمون بالعبادة فيه اهتماماً بالغاً ، والعشر الأوائل من أيامه هي الأيام المعدودات المذكورة في القرآن الكريم وهي أيام فاضلة غاية الفضل ، وقد روي عن النبي ﷺ : «ما من أيام العمل فيها أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أيام هذه العشرة» ، ولهذه العشرة أعمال ، منها :

الأول : صيام الأيام التسعة الأول منها فإنه يعدل صيام العمر كله.

الثاني : أن يصلي بين فريضتي المغرب والعشاء في كل ليلة من لياليها ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب والتوحيد مرة واحدة ، وهذه الآية ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) ليشترك الحاجاج في ثوابهم.

الثالث : أن يدعو بهذا الدعاء من أول يوم من عشر ذي الحجة الى عشية عرفة في دبر صلاة الصبح وقبل المغرب ، وقد رواه الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس عن الصادق ﷺ وهو دعاء مخصوص ، بالاضافة إلى دعوات اخرى جاء بها جبرئيل هدية إلى عيسى بن مريم ﷺ .

اللَّهُمَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ الَّتِي فَضَّلْتَهَا عَلَى الْأَيَّامِ وَشَرَّفْتَهَا قَدْ بَلَّغْتَنِيهَا بِمَنْكَ وَرَحْمَتِكَ ، فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَوْسِعْ عَلَيْنَا فِيهَا مِنْ نِعْمَائِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَهْدِيَنَا فِيهَا لِسَبِيلِ الْهُدَى وَالْعِفَافِ وَالْغِنَى وَالْعَمَلِ فِيهَا بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى ، الخ^٣

و فيما يتعلق بمناسبات هذا الشهر الفضيل فان فيه مجموعة من الاحداث و الوقائع المهمة وذات الاهتمام فاليوم الاول منه كان مناسبة زواج الامام علي ﷺ من فاطمة الزهراء (س) واليوم الثالث منه كان تبليغ سورة براءة من قبل الامام علي ﷺ وكذلك كان وصول النبي (ص) مكة لاداء حجة الوداع وفي اليوم السابع منه كان شهادة الامام الباقر ﷺ وفي اليوم الثامن منه كان خروج الامام الحسين ﷺ من مكة الي العراق و التاسع من الشهر هو يوم عرفة ،

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) راجع مفاتيح الجنان ، أعمال شهر ذي الحجة

اليوم الذي دعا الله تعالى عباده فيه إلى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده ، وكذلك يوم شهادة مسلم ابن عقيل و العاشر منه جعله الله عيداً لجميع المسلمين وفي اليوم الثامن عشر منه اتم الله النعمة علي المسلمين بنصب الامام علي عليه السلام من قبل الرسول (ص) فكان اكمالاً لدينه وغيرها من المناسبات العطرة فحريّ بالمسلم أن يستثمر هذا الشهر لكي يربّي نفسه تربية إلهية من خلال الاهتمام بالأعمال العبادية في هذا الشهر المبارك ويحيي تلك المناسبات تعظيماً لشعائر الله تعالى وفيما يلي استعراضٌ لتلك المناسبات .

جدول مناسبات شهر ذي الحجة

ت	اليوم	المناسبة	السنة
١	١ / ذو الحجة	زواج الإمام علي <small>عليه السلام</small> من الزهراء <small>عليها السلام</small>	٢ هـ
٢	= = / ٣	تبليغ سورة براءة في الحج	٩ هـ
٣		وصول النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> إلى مكة لحجة الوداع	١٠ هـ
٤	= = / ٧	شهادة الإمام محمد الباقر <small>عليه السلام</small>	٩٥ هـ
٥	= = / ٨	يوم التروية وخروج الحسين <small>عليه السلام</small> من مكة	٦٠ هـ
٦	= = / ٩	يوم عرفة	من كل عام
٧		شهادة مسلم بن عقيل وهاني	٥٩ هـ
٨	= = / ١٠	عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)	من كل عام
٩	= = / ١٨	يوم الغدير (علي <small>عليه السلام</small> وصي النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>)	١٠ هـ
١٠	= = / ٢٢	شهادة ميثم التمار <small>رحمته الله</small>	٦٠ هـ
١١	= = / ٢٤	يوم المباهلة مع نصارى نجران	١٠ هـ
١٢	= = / ٢٤	يوم تصدق الإمام علي <small>عليه السلام</small> بالخاتم	١٠ هـ
١٣	= = / ٢٥	نزول سورة الإنسان في أهل البيت <small>عليهم السلام</small> .	
١٤	= = / ٢٥	البيعة لعلي <small>عليه السلام</small> بالخلافة	٣٥ هـ
١٥	= = ٢٨	واقعة الحرة في المدينة	٦٣ هـ
١٦	آخر ذي الحجة	يوم الختام للسنة الهجرية	من كل عام

(١)

زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام^{٨٤}

(١ / ذي الحجة / السنة الثانية للهجرة)

كان عمر الإمام علي عليه السلام قد بلغ أربعاً وعشرين سنة فلا بد له من الزواج وبدء الحياة المشتركة والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله ﷺ الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول ﷺ امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله^(٨٥)، إلى أن تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله ﷺ، فقال له: «يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك»، فلما دخل النبي ﷺ على فاطمة عليها السلام، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت عليها ولم تول وجهها، ولم ير فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «الله أكبر، سكوتها إقرارها»، فخرج إلى علي وموافقة الزهراء عليها السلام بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة^(٨٦)، فقال ﷺ: يا علي هل معك ما أزوجه بك؟ فقال عليه السلام: فداك أبي وأمي، والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي. فقال ﷺ: يا علي، أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، واثنين بثمانين درهمًا^(٨٧).

باع الإمام علي عليه السلام الدرع^(٨٨) بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة^(٨٩)، وجاء بالدرهم وطرحها بين يدي النبي ﷺ، فكان هذا فقط صدق أشرف وأعظم فتاة عرفتها دنيا الإنسان. ثم إن النبي ﷺ قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم رده بعد ذلك إلى علي عليه السلام قبيل الزفاف، إعانة منه لوليمة الزفاف.

^{٨٤} (نقلنا المطالب عن كتاب الإمام علي (ع)، ادوار ومواقف .

(٨٥) أنساب الأشراف ٢ : ٣٠ .

(٨٦) وقد اشتهر عن النبي ﷺ، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفؤ».

(٨٧) الإصابة في معرفة الصحابة ٤ : ٣٦٥ .

(٨٨) كان يسمى هذا الدرع بـ (الحطمية) لأنها كانت تحطم السيوف.

(٨٩) بحار الأنوار ٤٣ : ١٤٤ .

دفع النبي ﷺ الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي ﷺ أخذ يقبلها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم بارك لقوم جُلُّ أنيتهم الخرف»^(٩٠).

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ دعا بلالاً فقال: يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سُنَّة أمتي إطعام الطعام عند النكاح، فأتت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلِّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي ﷺ معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام - وإن كان من قبل السماء بقوله ﷺ: «إن الله أمرني بأن أزوج فاطمة من علي»^(٩١) - لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس في تشكيل الأسرة المسلمة وكيانها. ولعل في الكلام الذي روي عن النبي ﷺ: يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي^(٩٢) إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليها السلام على أحسن حال، فلم يشك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة عليها السلام، بل كان كل منهما نعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»^(٩٣).

وجاء في آخر كلام لها عليها السلام مع علي عليه السلام: «يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفك منذ عاشرتني»، فقال عليه السلام: «معاذ الله أنت أعلم وأبر وأتقى وأكرم وأشدَّ خوفاً من الله أن أؤيخك بمخالفتي»^(٩٤).

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليها السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص كتابه العزيز

(٩٠) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ ح ٣٢.

(٩١) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٩٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

(٩٣) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣.

(٩٤) أمالي الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٩٥).

(٢)

تبليغ سورة براءة في الحج

(٣ / ذي الحجة / السنة ٩ هـ)

وفي هذا اليوم من السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي ﷺ أبا بكر إلى مكة بالآيات الأولى من سورة براءة ليقرأها على كفار مكة، فأتاه جبريل الأمين فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تبعث علي بن أبي طالب، وأنه لا يؤديها عنك غيره. وفي رواية أخرى: قال جبريل: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فاستدعى رسول الله ﷺ علياً ﷺ وقال: اركب ناقتي العضباء، والحق أبا بكر فخذ براءة من يده وامض بها إلى مكة، وانبذ بها عهد المشركين إليهم، وخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابك، أو يرجع إليّ، فركب أمير المؤمنين ﷺ ناقه رسول الله ﷺ العضباء ولاحق به وأخذها منه، وعاد أبو بكر إلى النبي ﷺ مستفسراً عن الأمر قائلاً له ﷺ: أنزل في قرآن؟ فقال ﷺ: لا ولكن الأمين هبط إليّ عن الله (جل جلاله) بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ولا يؤدي عني إلا علي^(٩٦).

والحادثة تشير بوضوح إلى جملة من النقاط المهمة التي يمكن الإشارة إليها:

أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذي الحجة وتنتهي باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة.

ثانياً: تبين الحادثة فضل أمير المؤمنين ﷺ عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ وقد ورد في بعض النصوص كما في (مسند أحمد بن حنبل): أن علياً ﷺ قال: يا رسول الله ﷺ لست خطيباً، فقال النبي ﷺ: لا محيص عن ذلك، فإما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال علي ﷺ: إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها، فقال له النبي ﷺ: انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك^(٩٧).

ثالثاً: مع أهمية العهود والمواثيق في الإسلام إلا أن الأمر الإلهي أعلن من خلال هذه الآيات إعلاناً عاماً أمام الناس كافة: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾...

(٩٦) الإرشاد ١: ٦٥.

(٩٧) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣١.

فقد تصرف الوحي والرسول ﷺ معهم كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام، أو محاولة اغتيال النبي ﷺ فتتمت مواجهتهم وطردهم من المدينة، لكن بعض المعاهدات بقيت سارية المفعول سواء كانت ذات أجل مسمى أم لم تكن ذات أجل مسمى.

إن القرائن والدلائل التي ظهرت من جانب المشركين تدل على أنهم كانوا على استعداد فيما لو استطاعوا أن يوجهوا ضربة قاضية للمسلمين دون أدنى اعتناء بعهودهم، ومن المنطقي أنه إذا رأى الإنسان عدوه يتربص به ويستعد لنقض عهده، ولديه قرائن على ذلك وعلائم واضحة، فمن المنطقي أن ينهض لمواجهته قبل أن يستغفله، ويعلن إلغاء عهده، ويرد عليه بما يستحق.

ومن الجدير ذكره في هذا الباب أن القوانين الدولية المعاصرة لا تعترف بالمعاهدات بين الدول إذا ما تم إقرارها والتوقيع عليها تحت الضغوط والقوة القاهرة.

رابعاً: إن الأديان والعقائد الفاسدة مثل عبادة الأصنام ليست عقيدة ولا فكراً، بل هي خرافة ووهم باطل خطر، فيجب القضاء عليها وإزالتها من المجتمع الإنساني. فإذا كانت قوة عبدة الأصنام وقدرتهم بالغة في الجزيرة العربية آنذاك، فاضطر النبي ﷺ بسبب تلك الظروف إلى معاهدتهم ومصالحتهم، فإن ذلك لا يعني أنه لا يحق له إلغاء معاهدته - إذا ما قويت شوكته - وأن ينقض عهده الذي سيعتبر مخالفاً للمنطق والعقل فيما لو استمر عليه. كما أن هذا الحكم مختص بالمشركين، أما أهل الكتاب وسائر الأقوام الذين كانوا في أطراف الجزيرة العربية فقد بقيت المعاهدات معهم على حالها ولم ينقض النبي ﷺ مواثيقهم وعهودهم حتى وفاته.

إن البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختص بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة. وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام.

وأما من تمسك بقوله تعالى: ﴿ الْحَبْجُ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَبْجَ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَبْجِ... ﴾^(٩٨) لتحريم المظاهرات وإعلان البراءة من المشركين، فمردود، لأن المشهور عند المفسرين في تفسير هذه الآية أن الرفث هو الجماع والفسوق هو جميع المعاصي، والمراد بالجدال هو المراء والمشاجرة والمنازعة^(٩٩)، هذا ما عند القوم، وأما عند أهل البيت عليه السلام فقد فُسِّرَ الجدال المذكور في الآية بقول الرجل: لا والله، وبلى والله^(١٠٠)، وأين هذا من تحريم

(٩٨) البقرة: ١٩٧.

(٩٩) الكشاف ١: ٢٦٣.

(١٠٠) نور الثقلين ١: ١٦٢.

مطلق الجدال الذي يدعيه القوم، وقد اتخذوه الوهابيون دليلاً على حرمة المظاهرات وإظهار البراءة من الكفار والمنافقين في موسم الحج.

ومن هذا المنطلق كان الإمام الخميني قده يرى بأن السياسة جزء من الدين، وأن عملية فصل السياسة عن الدين التي شاعت خلال العقود الأخيرة من هذا القرن، إنما روج لها المستعمرون، وأن النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة في العالم الإسلامي وبين أتباع سائر الأديان الإلهية.

وكان الإمام الخميني قده يعتقد بأن الإسلام دين الهداية البشرية في جميع مراحل وأبعاد وأدوار الحياة الفردية والاجتماعية، ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر، فإن الإمام الخميني قده كان يرى أن الإسلام الذي يهتم بالجوانب العبادية والأخلاقية الفردية فحسب، ويصدّ المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، إسلام محرّف، وعلى حد تعبير سماحته «إسلام أمريكي».

لقد بادر الإمام الخميني قده بعد انتصار الثورة الإسلامية فضلاً عن الحكومة الإسلامية بأسلوب يختلف تماماً عن الأنظمة السياسية المعاصرة، أوضح أركانه وأصوله دستور الجمهورية الإسلامية، إلى إحياء شعائر الإسلام الاجتماعية، وإعادة الروح السياسية للأحكام الإسلامية، وما إحياء وإقامة صلاة الجمعة، و صلاة الجماعة، و صلاة الأعياد الإسلامية الكبرى في مختلف أنحاء البلاد، إلا تأكيد على أنّ الإسلام عقيدة عبادية سياسية، وطرح المسائل والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي داخل البلاد وخارجها في خطب صلوات الجمعة والأعياد الدينية، وتغيير أسلوب ومحتوى مراسم العزاء والثناء، وغيرها من مضامين التغيير إلا نماذج بارزة على ذلك.

إن أحد أبرز إنجازات الإمام الخميني قده إحياء الحج الإبراهيمي، واعتبر الحج من أبرز مظاهر التلاقي وإعلان البراءة من المشركين، إلا أن الناظر إلى الحج لا يرى أي أثر من طرح لمشكلات العالم الإسلامي والبراءة من المشركين. وقد اعتبر قده من خلال بياناته السنوية التي كان يوجّهها إلى الحجاج في موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمر السياسي للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيحاً لمسؤوليات الحجاج في هذا الخصوص.

وبالتدريج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت سيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يردّدون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من أمريكا والاتحاد السوفيتي آنذاك وإسرائيل باعتبارها مصاديق بارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين إلى الاتحاد.

وفي هذا الصدد يقول سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامني عليه السلام في ندائه لحجاج بيت الله الحرام وذلك في موسم الحج لعام (١٤٢٤هـ):

«إنهم (المستكبرون) يشعرون بوجود الصحوّة الإسلاميّة، ويشعرون بالخطر من انتشار فكرة (الإسلام السياسي) وسيادة الإسلام، وترتعد فرائضهم عندما يفكرون بيوم تنهض فيه الأمة الإسلاميّة موحدة مليئة بالأمل، فإن الأمة الإسلاميّة بما تملكه من ثروات طبيعيّة، وتراث حضاري تاريخي عظيم، ورقة جغرافيّة مترامية الأطراف، وكماً بشري هائل، لن تسمح في ذلك اليوم المنشود، لقوى الهيمنة التي طفقت تمتص دم الأمة وتنتهك حرمتها وكرامتها طوال مئتي عام، أن تستمر في هذا الطغيان والعدوان.

إن النخب السياسيّة والفكريّة في عالمنا الإسلامي تتحمل اليوم مسؤوليّة جسيمة في إقامة مناسك الحج وشعائره بما جاء به الإسلام العظيم.

إننا نستشرف أفق المستقبل مشرقاً أمام شعبنا والعالم الإسلامي مستمرين بعزيمة راسخة في الدرب الذي رسمه الإمام الخميني العظيم واثقين من تحقق الوعد الإلهي وثوقاً يتزايد يوماً بعد يوم»^(١١).

(٣)

وصول النبي ﷺ إلى مكة لحجّة الوداع^{١٠٢}

(٤/ ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ)

كان وصول النبي ﷺ إلى كدي أو كداء، يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة، وكان في آخر نهار ذلك اليوم^(١٠٣)، فلما أصبح في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهراً^(١٠٤) وذلك من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد - باب شيبة - استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم^(١٠٥)، ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبّل الحجر^(١٠٦) ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ﷺ، قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد^(١٠٧)، ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلّ داء وسقم». ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبّره ثم قال (ص): «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». قال مثل هذا ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا^(١٠٨).

^{١٠٢} (المناسبات النبوية، ادوار ومواقف .

(١٠٣) فروع الكافي ١ : ٢٣٣ و بحار الأنوار ٢١ : ٣٩ .

(١٠٤) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٧ .

(١٠٥) فروع الكافي ١ : ٢٣٤ و بحار الأنوار ٢١ : ٣٩٦ .

(١٠٦) فروع الكافي ١ : ٢٨٣ ، مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٨ و بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٢ .

(١٠٧) صحيح مسلم ٤ : ٣٦ ، مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٨ و بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٤ .

(١٠٨) صحيح مسلم ٤ : ٣٦ ، مغازي الواقدي ٢ : ١٠٩٩ و بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٤ .

لحوق علي عليه السلام بركب الرسول ﷺ :

كان علي عليه السلام في اليمن ، وكان الرسول ﷺ قد كاتب علياً عليه السلام بالتوجه إلى الحج من اليمن ، فخرج أمير المؤمنين بمن معه من العسكر الذي صحبه ، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً ، معه الحلل ،^{١٠٩} ولما بلغ يلملم عقد نيته بنية النبي ، وقال : اللهم إهلالاً كإهلال نبيك .

فلما قارب رسول الله ﷺ مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن ، فلما كان بالفتق قرب الطائف خلف على أصحابه أبا رافع القبطي ، وتقدمهم للقاء النبي ﷺ ، فأدركه وقد أشرف على مكة ، فسلم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقاءه قبل الجيش^(١١٠) .

فسر رسول الله ﷺ بذلك وابتهج بقاء علي عليه السلام ، وكان محرمًا فسأله : بم أهلت يا علي ؟ فقال عليه السلام : يا رسول الله ، إنك لم تكتب إلي بإهلالك ، ولا عرفتنه ، فعقدت نيّتي بنيتك . وقلت : اللهم إهلالاً كإهلال نبيك ، وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر فقد سقت أنا ستاً وستين ، وأنت شريكي في حجتي ومناسكي وهديي ، فأقم على إحرامك ، وعد إلى جيشك ، فعجل بهم إليّ حتى نجتمع في مكة إن شاء الله .

خطبته ﷺ في آخر عمرته :

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام : أنه لما فرغ رسول الله ﷺ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«إن هذا جبرائيل - وأوماً بيده إلى خلفه - يأمرني أن أمر من لم يسق هدياً أن يحل ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ، ولكنني سقت الهدى ، ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل ﴿حَتَّى يَلْغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ ، فقال رجل من القوم : أخرجنا حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعني من غسل الجنابة) .

فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً !

فقال سراقه بن ملك الكناني : يا رسول الله ، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم ؛ فهذا الذي أمرتنا به ألعامنا هذا أم لما يستقبل ؟

فقال رسول الله ﷺ : بل هو للأبد إلى يوم القيامة ، وشبك أصابعه وقال : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة^(١١١) .

وفي يوم التروية خرج ﷺ إلى مناسك الحج وكان بعد الزوال وبعد الغسل والإهلال بالحج ، فمرّ

^{١٠٩} (قال الواقدي : إن الحلل هي الغنائم ، وقال المفيد : كانت جزية نصارى نجران

(١١٠) مغازي الواقدي ٢ : ١٠٨ ، .

(١١١) فروع الكافي ١ : ٢٣٣ ، وبحار الأنوار ٢١ : ٣٩١ .

بمنى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم بعد طلوع الشمس جاء نمره من موقف عرفات ثم سار إلى عرفات، وانتهى النبي ﷺ إلى نمره. بحيال شجر الأراك من بطن عرنة من عرفة فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلما زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت له، فخرج وقد اغتسل فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة، ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: ويغفر لعلي خاصة، ثم قال: ادن مني يا علي، ودنا منه فأخذ بيده وقال: «إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أطاعك وتولاك من بعدي، وإن الشقي كل الشقي حق الشقي من عصاك ونصب لك العداوة من بعدي»^(١١). ثم ركب وسار حتى وقف حيث المسجد اليوم (مسجد نمره) في بطن الوادي فخطب الناس.

خطبة الرسول ﷺ في عرفات

كان التأكيد على النقاط التالية في خطبته الشريفة في عرفات :

١ - تحريم دماء المسلمين وأموالهم بعضهم على بعض، فقد قال (ص): «أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم...»

٢ - إلغاء العادات الجاهلية الوثنية في الأخذ بالثأر، فقد قال ﷺ: «إن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأنا أضع دم ابن ربيعة بن الحارث».

ما أروع النبي ﷺ حيث إنه قدوة للمسلمين جميعاً، فبدأ بأقربائه في تنفيذ أحكام الإسلام فابن ربيعة بن الحارث الذي قتله البعض، وضع النبي ﷺ دمه وأسقطه، لكي يشجع المسلمين على ترك الثأر.

٣ - أداء الأمانة إلى أهلها، فقد قال ﷺ: «إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها....».

٤ - التأكيد على حرمة الربا، وأن ذلك المال الحاصل منه لا يملكه المرابي، وقد بدأ ﷺ بأقربائه في إسقاط الربا، فأسقط ربا عمه العباس، قال ﷺ: «أيها الناس إن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله».

٥ - الوصية بالنساء خيراً، قال ﷺ: «أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن

لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن تبن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، إعلموا أيها الناس قولي فإني قد بلغت».

٦ - التركيز على حق المسلم على أخيه المسلم ، قال ﷺ : «أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم ؛ لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع».

ثم اشهد النبي ﷺ ربه عليهم بقوله : اللهم اشهد... اللهم اشهد... اللهم اشهد. (١١٣).

وفي مني قد أخبر النبي ﷺ الناس عند مسجد الخيف أن نفسه نعت له ، ومن خطبته هناك : «أيها الناس ، إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ولن تزلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير ، إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين». وجمع بين سبابتين ، «ولا أقول كهاتين» وجمع بين سبافته والوسطى ، «تفضل هذه على هذه» (١١٤).

وهكذا أكمل النبي ﷺ حجه ، وعلم المسلمين حجههم ، وكانت آخر حجة حجها النبي ﷺ ، ولذلك سميت حجة الوداع.

وهكذا حتى يبلغ الرسول ﷺ غدير خم فتكون لنا مناسبة أخرى نتحدث فيها في تناغم رسالي عن حقيقة الدين الذي أنزله الله على عباده.

(١١٣) نقلت هذه الخطبة الكثير من كتب الحديث .

(١١٤) أسنده الكليني في الكافي ١ : ٤٠٣ إلى الإمام الصادق ، و الصدوق في الخصال ١ : ١٤٩ .

شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام

(٧ / ذي الحجة / السنة ٩٥ هـ)

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليه السلام. ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة. وقبض في المدينة أيضاً سنة أربع عشرة ومئة ، فعمره الشريف سبع وخمسون سنة وهو أول علوي من علويين ، أبوه زين العابدين عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن السبط عليه السلام وقبره في البقيع في مدينة الرسول ﷺ^(١١٥).

كانت شهادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام على يد هشام بن عبد الملك. وقيل إن عبد الملك بن مروان بعث بسرج مسموم إلى الإمام عليه السلام وعندما وضعوه فوق الفرس وجلس عليه الإمام أحس بحرارة السم ، فتورم جسده الشريف وظهرت عليه آثار الموت.

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : «في أحد الأيام طلبني أبي وقال لي : يا جعفر إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء (وكان عنده قوم من أصحابه) فلما خرجوا قلت : يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته ، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم ، فقال : يا بني أردت أن لا تنازع (أي : في أمر الإمامة)^(١١٦)».

والحادثة تشير إلى أنه عليه السلام أوضح للحاضرين من شيعته وأتباعه من هو الإمام المفترض الطاعة من بعده. لأن الشيعة يعرفون من خلال أئمتهم أن المعصوم لا يتولى تغسيله وتجهيزه ودفنه إلا خليفته المعصوم من بعده.

والإمام الباقر عليه السلام يمثل حلقة الوصل في استكمال الخطة التي بدأها الإمام زين العابدين عليه السلام وذلك بالسعي الدؤوب في بث علوم آل البيت عليهم السلام ، ومواجهة مخططات التحريف ونشر الشبه والضلالات والأفكار الإلحادية من قبل الزنادقة والمخطط الأموي في الطمس والتعتيم على أحقية آل البيت عليهم السلام في الإمامة السياسية والفكرية للأمة الإسلامية.

لقد أنشأ الإمام زين العابدين عليه السلام حلقات الدرس والمناظرات في مسجد جده رسول الله ﷺ وتوسعت هذه الحركة الفكرية في زمن الإمام الباقر عليه السلام وبلغت ذروتها في زمن ولده الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، حيث كانت الدولة الأموية قد أوشكت على الانهيار وقد نقلت التفاسير وكتب الحديث والتاريخ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أحاديث وحوارات كثيرة حصلت بينه وبين رجال

(١١٥) الإرشاد ٢ : ١٥٨.

(١١٦) الخرائج والجرائح : ١٩٧.

الفكر والعلماء المعاصرين له عليه السلام من أمثال نافع مولى عمر بن الخطاب ، حيث التقى به عليه السلام في داخل البيت الحرام ، وكان نافع قد ذهب إلى الحج مع الخليفة هشام بن عبد الملك ، فنظر نافع إلى الإمام الباقر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق وقال : يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس. فقال : هذا محمد بن علي ، قال : لآتينه ولأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي ، قال الخليفة هشام : فاذهب إليه لعلك تخجله ، وذهب نافع والتقى الإمام الباقر عليه السلام وسأله عن مسائل كثيرة لا يتسع هذا البحث المختصر لإيرادها ، ولكن نكتفي بسؤال واحد هو عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قال نافع : من الذي سأل محمد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى عليه السلام خمسمائة عام ، فأجابه الإمام الباقر عليه السلام بأن ذلك كان من الآيات التي أراها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله الكريم في الإسراء إلى بيت المقدس. قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ، حيث حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، ثم أمر جبرائيل فأذن شفعا وأقام شفعا ، وقال في أذانه حي على خير العمل ، ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم ، فلما انصرف قال الله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله : على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا : نشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله ، أخذت على ذلك عهدنا ومواثيقنا.

قال نافع : صدقت يا أبا جعفر.

وللإمام عليه السلام حوارات كثيرة مع الحسن البصري وطاووس اليماني ، ومن أراد التوسعة والاطلاع فليراجع الارشاد للشيخ المفيد ٢٤٤ والاحتجاج للمرحوم الطبرسي ، وبحار العلامة المجلسي : ٦ : ١٢٥.

وختاماً نشير إلى ما روي عنه عليه السلام من أنه أوصى بثمانئة درهم تعطى لإقامة المآتم عليه بعد موته ، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : قال لي أبي : يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبني عشر سنين بمنى أيام منى^(١١٧).

والحكمة من هذا الأمر الذي أمر به الإمام الباقر عليه السلام لولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه أراد ان يعرف المسلمين عامة والشيعة خاصة بأهمية إقامة الشعائر وبالأخص إحياء مجالس أهل البيت عليهم السلام لأن إحياء مجالسهم وذكرهم هو إحياء للإسلام ، والقرآن ، فأهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن ولا يفترقان أبداً كما صرح بذلك نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المعروف.

(٥)

يوم التروية وخروج الحسين عليه السلام من مكة

(٨ / ذي الحجة / السنة ٦٠ هـ)

سمي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة بيوم التروية لأن الحجاج يخرجون فيه من مكة محرمين إلى منى وهم يتروون من الماء يحملونه معهم في الروايا إلى عرفات ، لأنه لم يكن في الزمن السابق بعرفة ماء ، وللصيام في هذا اليوم فضل كثير ، وروي أنه كفارة لذنوب ستين سنة ، وقال الشيخ الشهيد (رحمه الله) : أنه يستحب فيه الغسل .

وفي هذا اليوم - الثامن من ذي الحجة سنة ستين - توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق بعد مقامه بمكة من اليوم الثالث من شعبان وكان قد اجتمع إليه مدة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة ، وكان عليه السلام قد طاف وسعى وأحل إحرامه وجعلها عمرة لما بلغه أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر ، وأمره على الحاج وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجدته فكره الإمام الحسين عليه السلام أن تستباح به حرمة البيت .

وخطب الإمام الحسين عليه السلام في مكة خطبته الشهيرة التي قال فيها : «الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله خُطَّ الموت على وُلد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً . لا محيص عن يوم خط بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمة بل هي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده ، ألا من كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا ، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى»^(١١٨) .

وروي أنه عليه السلام قال لعبد الله بن الزبير : إن أبي حدثني أن بمكة كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش ، ولئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أقتل فيها ، وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من

(١١٨) اللهوف: ٣٣، عن مقتل الخوارج عن الفتوح لابن اعثم الكوفي المتوفى ٣١٠ .

هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت!^(١١٩).

ونقرأ في حركة الحسين وخروجه من مكة وخطابه فيها نداء يستصرخ الضمائر ويهز الوجدان في الأمة، يوضح فيه ملامح حركته وأهدافها، وأن رضا الله عن الأمة لا يكون في سكوتها عن الظلم وانتهاك الحرمات وتعطيل الحدود وإماتة السنة وإحياء البدعة، وأن الصلاة والقصد إلى حج البيت الحرام لا معنى له وابن بنت النبي ﷺ مهدد من قبل الدولة الأموية بالاغتيال، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، قال ﷺ: «رضا الله رضانا أهل البيت»^(١٢٠)، فهذا هو العنوان الكبير الذي يجب على المسلمين تمثله والسير وراءه.^{١٢٠}

(١١٩) الكامل لابن الأثير ١ : ١٦ عن أبي مخنف، (راجع وقعة الطف لأبي مخنف، تحقيق: الشيخ اليوسفي الغروي)

^{١٢٠} (موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية. ط. مكتب الإمام الخامني في سورية .

(٦)

يوم عرفة

(٩ / ذي الحجة / من كل سنة)

اليوم التاسع من ذي الحجة من كل سنة هو يوم عرفة ، وهو يوم دعا الله عباده فيه إلى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت سواء ، وفيه يتحرك الحجاج الذين أحرموا وباتوا في منى (يوم التروية) إلى عرفات ، والذين لم يذهبوا إلى منى فالواجب عليهم الإحرام من مكة والأفضل من الحرم ، والوصول إلى عرفات قبل الزوال والبقاء فيها إلى غروب الشمس ويقضي الحاج هذه الفترة في تلاوة القرآن والذكر والدعاء والتضرع إلى الله عز وجل يطلبون منه العفو ويسألونه المغفرة والتكفير عن الذنوب ، ولذا يمكن ان يطلق علي يوم عرفة يوم عيد قبول التوبة وغفران الذنوب والحصول على السعادة .

وروي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام سمع في يوم عرفة سائلاً يسأل الناس ، فقال له : «ويلك أتسأل غير الله في هذا اليوم؟ وهو يوم يُرجى فيه للأجّة في الأرحام أن يعمّها فضل الله تعالى فتسعد»^{١٢١}

ولهذا اليوم عدة أعمال : الغسل عند الظهر وزيارة الإمام الحسين عليه السلام وصلاة ركعتين تحت السماء بعد فريضة العصر قبل البدء بدعوات يوم عرفة ، والصوم لمن لا يضعفه الدعاء ، والاقرار لله تعالى بالذنوب للفوز بثواب عرفات وقراءة الادعية الماثورة عن الحجج الطاهرة عليه السلام ، وهي أكثر من أن تذكر في هذه الوجيزة. والمشهور منها دعاء عرفة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام حيث دعا به في جمع من الناس في اواخر وقت يوم عرفة وكذلك دعاء الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام في هذا اليوم المذكور في الصحيفة السجادية ، وهو الدعاء السابع والاربعون .

^{١٢١} وسائل الشيعة ١٠ : ٢٨ ، ح ١ .

وقال الكفعمي في (المصباح): يستحب صوم عرفة لمن لا يضعف عن الدعاء، والاغتسال قبل الزوال، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام فيه وفي ليلته، فإذا زالت الشمس فابرز تحت السماء وصل الظهرين تحسن ركوعهما وسجودهما، فإذا فرغت فصل ركعتين في الأولى بعد الحمد التوحيد، وفي الثانية بعد الحمد سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾^(١٢٢)، ثم صل أربعاً أخرى في كل ركعة الحمد والتوحيد خمسين مرة.

واقرأ في هذا اليوم الزيارة الجامعة الثالثة وقل في آخر نهار عرفة: يا رب إن ذنوبي لا تضرُّكَ، وإن مغفرتك لي لا تنقصُكَ، فأعطني ما لا ينقصُكَ، واغفر لي ما لا يضرُّكَ وقل أيضاً: اللَّهُمَّ لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فإن أنت لم ترحمني بتعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبيته

والليلة التاسعة كيومها مباركة لأن التوبة تقبل فيها والدعاء مستجاب وأجر من أحيها كمن عبد الله تعالى سبعين سنة من العبادة، ومن المسنون فيها: دعاء «اللهم يا شاهد...»، تسيحات يوم عرفة ١٠٠ مرة، دعاء «اللهم من تعباً وتهياً...» وزيارة الإمام الحسين عليه السلام.^(١٢٣)

الوقوف بعرفات

وادي عرفات أرض الرحمة والمغفرة وقبول الدعاء، تبعد عن الكعبة (مدينة مكة) حوالي (٢١) كيلو متر، وفيها جبل الرحمة والمغفرة والحجيج يقصدها يوم عرفة لأداء حج التمتع، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾^(١٢٤) فحجاج بيت الله الحرام بعد ارتدائهم للملابس الإحرام يفيضون إلى عرفات ويقفون في هذه المنطقة من ظهر يوم التاسع من ذي الحجة إلى أوان غروب الشمس، منهمكين بالدعاء والتضرع، لينزل الله تعالى عليهم رحمته ويأتي جمع من الحجاج يوم عرفة إلى مسجد نمرة، ليصلوا الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم يشرعوا بالدعاء والتضرع ومسألة الله تعالى حتى الغروب واهم ما يسألون الله هو غفران ذنوبهم بعد الاعتراف بها اقتداء بالنبي إبراهيم الخليل (ع) ففي رواية عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات لم سميت عرفات؟ فقال: «إن جبرائيل عليه السلام خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة، فلما زالت الشمس قال جبرائيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرائيل اعترف فاعترف»^(١٢٥) وهناك أسباب أخرى للتسمية

(١٢٢) الكافرون: ١.

(١٢٣) لزيادة الاطلاع راجع مفاتيح الجنان - أعمال شهر ذي الحجة.

(١٢٤) البقرة: ١٩٩.

(١٢٥) مستدرک الوسائل ١٠: ٢٦ الباب ١٤ ح ١٣٧٢.

اذن إحدى أهم الألفاظ التي يحصل عليها الحاج من رحلة الحج المعنوية، هو غفران الذنوب، ففي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، يأتي الحجاج من كل فج عميق ويجتمعون في عرفات، ويطلبون من الله تعالى أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ويطهرهم من الأدران، فهم في دعاء وبكاء وتوسل فعن الامام علي عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ لما حج حجة الوداع، وقف بعرفة فأقبل على الناس بوجهه فقال: مرحباً بوفد الله - ثلاث مرات - الذين إن سألوأ أعطوا، وتُخلف نفقاتهم، ويجعل لهم في الآخرة بكل درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟! قالوا: بلى يا رسول الله: قال: إنه إذا كانت هذه العشية باهى الله بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول: «يا ملائكتي انظروا إلى عبيدي وإمائي أتوني من أطراف الأرض، شعثاً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربنا يسألك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم ما سلف»^(١٢٦).

الدعاء في يوم عرفة

الدعاء هو نداء العبد ربه، وإقباله عليه، وهو روح العبادة وجوهرها، فعن رسول الله ﷺ: «الدعاء مُخَّ العبادة»^(١٢٧)، والعبادة هي الغاية من الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٢٨)، وكذلك فإن الله تعالى لا يعبد بالعباد لولا الدعاء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُدُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ...﴾^(١٢٩)، وقد جعل الدعاء من أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله»^(١٣٠).

وللدعاء فوائد كثيرة، فإنه يطهر النفس من درن الذنوب والآثام، كما يوطد العلاقة والارتباط مع الله سبحانه، كما أنه به يدفع البلاء ويحل القضاء بعدما أبرم إبراماً، وهو سلاح المؤمن عند الشدائد والمصائب، وبه شفاء المريض ونزول البركة، وسعة الأرزاق.

ولعل من أعظم فوائده هو فهم وإدراك الكثير من المعارف الإسلامية على الصعيد العقائدي والأخلاقي والتربوي، بما تحمله أدعية أهل البيت عليهم السلام من علوم إسلامية صاغوها في قوالب دعائية، ويكفي للإدعان بهذه الفوائد العظيمة قراءة أدعية الصحيفة السجادية.

(١٢٦) مستدرک الوسائل ٨: ٣٦.

(١٢٧) بحار الأنوار ٩٣: ٣٠٠.

(١٢٨) الذاریات: ٥٦.

(١٢٩) الفرقان: ٧٧.

(١٣٠) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٣ / ٢٢.

ونجد أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أبدوا مزيداً من الاهتمام بالدعاء ، ومنهم الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ورد عنه بعض الأدعية التي حفلت بالدروس التربوية الهادفة ، حيث شملت أبعاداً متعددة ساهمت في بناء العقيدة والإيمان بالله تعالى ، وتنمية حالة الرهبة لله تعالى في أعماق نفوس الناس ، وقد حوت أدعيته عليه السلام أصول الأخلاق وقواعد السلوك والآداب ، كما أملت بفلسفة التوحيد ومعالم الرسالة الإسلامية ومن بين تلك الادعية قد اشتهر دعاء عرفة الذي دعا به الامام ربه يوم عرفة في صحراء عرفات فهو السفر الخالد في عالم الروح ، وهو بحق ثورة في عالم النفس ، فإذا كانت ثورة الطف الخالدة تستهدف قلع الفساد الظاهر يأتي دعاؤه عليه السلام ليستهدف طغيان الذات ، وبهذا شكّل هذا الدعاء وغيره عند الإمام الحسين بن علي عليه السلام ممارسة لا تنفك عنه ، فنجد له لم يتركه حتى في أخرج ساعات واقعة الطف ، فقد دعا بدعاء جده النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله يوم أحد والأحزاب .

وقد روى هذا الدعاء الشريف بشر وبشير الأسديان حيث قالوا : كنا مع الإمام الحسين بن علي عليه السلام عشية عرفة ، فخرج عليه السلام من فسطاطه متذللاً خاشعاً ، فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت ، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ، وقال عليه السلام :

مقتطفات من دعاء عرفة

اللَّهُمَّ اجْعَلْ غِنَايَ فِي نَفْسِي وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي وَالْإِخْلَاصَ فِي عَمَلِي وَالنُّورَ فِي بَصَرِي وَالْبَصِيرَةَ فِي دِينِي وَمَتَّعْنِي بِجَوَارِحِي وَاجْعَلْ سَمْعِي وَبَصَرِي الْوَارِثَيْنِ مِنِّي وَأَنْصُرْنِي وَأَسْتُرْ عَوْرَتِي وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَأَخْسَأْ شَيْطَانِي وَفُكَّ رِهَانِي وَاجْعَلْ لِي يَا إِلَهِي الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى...

اللَّهُمَّ مَا أَخَافُ فَاجْعَلْنِي وَمَا أَحْذَرُ فَجْعَلْنِي وَفِي نَفْسِي وَدِينِي فَاجْزُئْنِي وَفِي سَفَرِي فَاحْفَظْنِي وَفِي أَهْلِي وَمَالِي فَاخْلُفْنِي وَفِيمَا رَزَقْتَنِي فَابَارِكْ لِي وَفِي نَفْسِي فَذَلِّلْنِي وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَعَظِّمْنِي وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَسَلِّمْنِي وَبِذُنُوبِي فَلَا تَفْضَحْنِي وَبِسَرِيرَتِي فَلَا تُخْزِنِي وَبِعَمَلِي فَلَا تَبْتَلْنِي وَنِعْمَكَ فَلَا تَسْلُبْنِي وَإِلَى غَيْرِكَ فَلَا تَكِلْنِي

يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَنْعَمْتَ أَنْتَ الَّذِي أَحْسَنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَجْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَفْضَلْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْمَلْتَ أَنْتَ الَّذِي رَزَقْتَ أَنْتَ الَّذِي وَفَّقْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَغْنَيْتَ

أَنْتَ الَّذِي أَقْنَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَوَيْتَ أَنْتَ الَّذِي كَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَصَمْتَ أَنْتَ الَّذِي
سَتَرْتَ أَنْتَ الَّذِي أَقْلْتَ أَنْتَ الَّذِي مَكَّنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَ أَنْتَ الَّذِي أَعْنَتَ أَنْتَ الَّذِي عَضَدْتَ أَنْتَ
الَّذِي أَيَّدْتَ أَنْتَ الَّذِي نَصَرْتَ أَنْتَ الَّذِي شَفَيْتَ أَنْتَ الَّذِي عَافَيْتَ أَنْتَ الَّذِي أَكْرَمْتَ تَبَارَكْتَ
وَتَعَالَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ دَائِمًا وَلَكَ الشُّكْرُ وَاصِبًا أَبَدًا .

يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ وَيَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِ مُحَمَّدٍ السَّادَةِ الْمَيَامِينَ وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِي الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي وَإِنْ
مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أَعْطَيْتَنِي أَسْأَلُكَ فَكَأَنَّكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، لَكَ
الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا رَبِّ يَا رَبِّ . (١٣١)

(٧)

شهادة مسلم بن عقيل وهانى بن عروة

(٩ / ذي الحجة / السنة ٦٠ هـ)

هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ابن عم الإمام الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولد مسلم في المدينة واستشهد في الكوفة عام ستين ، وروي أن عمره كان ٣٤ أو ٣٨ سنة ، وربما كان أكثر من ذلك ، وقد نشأ في بيت عمه أمير المؤمنين عليه السلام ، وحضر معه وقائع الجمل وصفين والنهروان ، وكان لنشأته مع ابني عمه الحسن والحسين عليه السلام أثره البالغ في سلوكه وتربيته الرسالية ، وتحملته مسؤولية السفارة عن الحسين عليه السلام ، بين أهل الكوفة وأدائه الرائع لرص الصفوف حوله ورفضه التخلي عنه ومواجهته الشجاعة للطاغية ابن زياد ودولة الظلم الأموية .

وقد كانت زوجته رقية الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسين عليه السلام في ركبه مع بنتها وأولادها الذين استشهدوا في واقعة الطف وبعدها .

مسلم على مستوى المهمة الموكلة إليه :

عندما وردت كتب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام تستدعيه ، وتعلن ولاء العراقيين له ، واستعدادهم ليكونوا خلفه جنوداً مجتهدة ، دعا الامام عليه السلام مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيدائوي ، وعُمارة بن عُبيد السلولي ، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن الكدن الأرحبي ، فأمره بتقوى الله وكرتمان أمره واللفظ ، فإن رأى الناس مجتمعين ، مستوثقين عجّل إليه بذلك . ، وأنفذ معه كتاباً إليهم : « وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وقد أوصاه قائلاً : «إني موجّهك إلى أهل الكوفة ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى ، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء ، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة ، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها ، وادع الناس إلى طاعتي ، فإن رأيتم مجتمعين على بيعتي فعجّل عليّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى» .^(١٣٢)

في بيت المختار الثقفي :

«ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيدة، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه».

«وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام فيكون، ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة».

وقد اختلف المؤرخون حول عدد الذين بايعوا مسلم للإمام الحسين عليه السلام فذكر أغلبهم أنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً^(١٣٣)، لذلك كتب مسلم إلى ابن عمه الحسين عليه السلام في رسالة له، وهو يقول فيها:

«أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام».

مضت الدعوة إلى الحسين عليه السلام تتسع في الكوفة وجوارها، وأصبح الناس يهتفون باسمه حتى ضاق الأمر على النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة. عندها كتب أنصار الأمويين إلى يزيد بن معاوية بالشام، وعرفوه إقبال الناس على مسلم ودعوته، وبيعة الحسين عليه السلام، وضعف الوالي النعمان.

فجمع يزيد أنصاره ومستشاريه وعلى رأسهم سرجون الرومي، وسألهم ما العمل؟

فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد وعزل النعمان بن بشير^(١٣٤).

خرج عبيد الله بن زياد من البصرة، وأقبل إلى الكوفة حيث عُيِّن والياً عليها بدلاً من الوالي السابق النعمان، ولما قدم ابن زياد الكوفة انفضَّ أنصار مسلم بن عقيل من حوله، لأن ابن زياد استخدم بحكم نفسيته الخبيثة الترهيب تارة والترغيب أخرى، فتوارى مسلم عن الأنظار وأقام في دار هاني بن عروة متكتماً لا يعلم بوجوده سوى خواص الشيعة.

مسلم لا يغدر:

جاءت الأخبار لابن زياد: أن شريك بن الأعور مريض في بيت هاني فسارع لعيادته لأن شريكاً من كبار الأشراف والوجهاء ولما علم شريك أن ابن زياد قادم لاحت بفكره خطة فقال لمسلم بن عقيل:

إن غايتك وغايتي هلاك الظالمين وهذا عبيد الله قادم لزيارتي فاقتله وأرح البلاد والعباد من جورهِ.

فقال مسلم: وكيف ذلك؟ فقال شريك: أقم في هذه الخزانة - وأشار بيده إلى خزانة في الحائط -

حتى إذا دخل ابن زياد وأخذ في الحديث أخرج أنت إليه فاقتله وأرح الناس من شرهِ، وضع يدك على زمام الحكم ريثما يحضر مولانا الحسين عليه السلام.

(١٣٣) الإرشاد: ٢٠٥، تاريخ الطبري ٣: ٢٩٠ الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٦.

(١٣٤) أنساب الأشراف، وأعيان الشيعة، ١: ٥٨٩.

اختبأ مسلم في الخزانة ، دخل ابن زياد منزل هاني بن عروة وجلس بالقرب من شريك وراح يستفسر عن صحته وكانت عين شريك ترمق الخزانة بين الحين والآخر يتوقع خروج ابن عقيل شاهراً سيفه يضرب ابن زياد ضربة واحدة ويقتله. لكن مسلماً لم يخرج وطال الانتظار ولم يخرج مسلم. ونادى بأعلى صوته :

ما الانتظار بسلمى لا تحيوها حيوا سليماً وحيوا من يحييها
وإن تخشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها

ولما خرج ابن زياد من دار هاني ، التفت شريك إلى مسلم بن عقيل وقال له معاتباً : بالله عليك يا ابن عقيل ألا أخبرتني لماذا لم تقتله؟ وما الذي منعك من قتله؟ فقال مسلم : لقد منعني من قتله امران : الأول : حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : «إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن» ، والثاني : امرأة هاني ، فإنها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في دارها ، وبكت في وجهي .

فقال هاني : يا ويلها من حمقاء جاهلة ، قتلتنى وقتلت نفسها ، والذي فرّ منه وقعت فيه .

شهادة مسلم بن عقيل وهاني

استطاع ابن زياد من السيطرة على أوضاع الكوفة بالإغراء والوعيد ، وفرض عليها من الخوف والرعب ، ففرق أصحاب مسلم من حوله ، وظل وحيداً غريباً بالكوفة بلا مأوى ، فما زالوا يتفرقون حتى لم يبق من الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلا ثلاثمائة رجل ، ولما أمسى المساء صلى مسلم بن عقيل المغرب والعشاء بالمسجد فلم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً ، ولما خرج من المسجد لم يبق معه غير عشرة نفر ، وبعد برهة نظر إلى خلفه وإذا به وحيداً ليس معه أحد يدله على الطريق ، مشى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب ، واستبد بمسلم العطش والتعب ، حتى وصل إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة .

فقال مسلم : يا أمة الله هل لك أن تسقيني شربة ماء .

أجابت طوعة : حباً وكرامة. ودخلت الدار بسرعة وجاءت بالماء ، شرب مسلم وأعاد إليها الإناء شاكراً. ثم جلس ليستريح واضعاً رأسه بين يديه مهموماً .

فقالت طوعة له : يا عبد الله اذهب إلى أهلِكَ فإنه لا يصحّ لك الجلوس على باب داري .

عندها قام مسلم بتناقل يجر رجله ثم وقف وقال : يا أمة الله ما لي في هذا البلد أهل ولا عشيرة فهل إلى أجر ومعروف؟ ولعلّي أكافئك به بعد هذا اليوم .

فقالت طوعة بدهشة وتعجب : يا عبد الله ما هذه المكافأة وكيف ذلك؟ ومتى بعد هذا اليوم؟

فقال : يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل من آل بيت رسول الله وأنا سفير الحسين إلى أهل الكوفة .

لكن طوعة ما إن سمعت باسمه حتى صاحت بلهفة : أحقاً أنت مسلم؟ أحقاً أنت سفير الإمام الحسين عليه السلام ؟ أجاب مسلم : نعم يا أمة الله. فقالت : سيدي يا مسلم اغفر لي خشونتي وما بدر مني أدخل بأبي أنت وأمي إلى داخل الدار. (١٣٥).

وما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر وأخبر بمكان مسلم ، وفور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة إليه ، وما أن سمع مسلم بالضجة حتى أدرك أن القوم يطلبونه ، فخرج إليهم بسيفه وكانوا قد طوّقوا الدار من كل جهاتها فانهمزوا بين يديه وهم أكثر من مائتي مقاتل ، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم في الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من أعلى السطوح استسلم لهم بعد أن أمنه ابن الأشعث وأعطاه العهد.

ومضى معهم إلى القصر فأدخل على ابن زياد ولم يسلم عليه وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقاً في بيانه قوي الحجة حتى أعياه أمره وانتفخت أوداجه وجعل يشتم علياً والحسن والحسين ، ثم أمر جلاوزته أن يصعدوا به إلى أعلى القصر ويقتلوه ويرموا جسده إلى الناس ويسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه إلى جانب هانئ بن عروة ، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من أمره شيئاً ، وقد صورَ عبدالله بن الزبير الاسدي الكوفي الزيدي هذه المأساة بقوله :

فإن كنت لا تدريين ما الموت فانظري	إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد غيّر الموت لونه	وأخر يهوي من طمار قتييل
فإن أنتم لم تثأروا لأخيكم	فكونوا نساء أرضيت بقليل

(٨)

عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)

(١٠ / ذي الحجة / من كل سنة)

ليلة العاشرة من ذي الحجة هي احدي الليالي الاربع التي يستحب احيائها وتفتح فيها ابواب السماء ونهار هذه الليلة هو عيد الاضحى المبارك وهو ثاني أعياد المسلمين بعد عيد الفطر المبارك ، وفيه يقوم الحجاج بالإحلال من إحرامهم في منى بعد الإفاضة من المزدلفة ، وأعمال هذا اليوم هي على الترتيب : رمي جمرة العقبة الكبرى ، وذبح الهدي ، والحلق أو التقصير. ويحرم في عيد الفطر والأضحى الصيام ، ويستحب فيهما صلاة العيد ، ويستحب لغير الحاج الأضحية في يوم عيد الأضحى المبارك.

وأعمال هذا اليوم عديدة منها :

الأول : الغسل وهو سنة مؤكدة في هذا اليوم .

الثاني : أداء صلاة العيد ولكن يستحب أن يؤخر في هذا اليوم الإفطار عن الصلاة .

الثالث : التضحية وهي سنة مؤكدة و يستحب أن يفطر على لحم الأضحية .

الرابع : قراءة الدعوات الماثورة قبل صلاة العيد وبعدها ، ولعل أفضل الأدعية في هذا اليوم هو الدعاء الثامن والأربعون من الصحيفة السجادية الكاملة و قراءة دعاء الندبة.

الخامس : أن يكبر بالتكبيرات الآتية عقيب خمسة عشر فريضة أولها فريضة ظهر العيد وآخرها فريضة فجر اليوم الثالث عشر ، هذا لمن كان في منى ، وأما من كان في سائر البلاد فيكبر بها عقيب عشر فرائض تبدأ من فريضة ظهر العيد وتنتهي بفجر اليوم الثاني عشر والتكبيرات على رواية الكافي الصحيحة كما يلي : «الله أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ ، والله أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ الحمدُ ، اللهُ أكبرُ على ما هدانا ، اللهُ أكبرُ على ما رزقنا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلَّانَا» ، ويستحب تكرار هذه التكبيرات عقيب الفرائض ما تيسر ، كما يستحب التكبير بها بعد

التّوافل أيضاً.

اعمال ايام التشريق

ايام التشريق هي الايام الثلاثة بعد يوم عيد الاضحى ، وهناك اعمال مستحبة يؤتى بها في هذه الايام

منها: الاضحية ، وتستحب يوم العيد ، ويمكن الاتيان بها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر في الامصار ، وكذلك في اليوم الثالث عشر في منى .

ومنها : التكييرات المعروفة المذكورة انفا ، حيث يستحب الاتيان بها في الحج ابتداءً من فريضة ظهر العيد إلى الثالث عشر من ذي الحجة بعد الفرائض والنوافل في منى ، وأما في سائر الامصار فيستحب ذلك الى فجر الثاني عشر من ذي الحجة .

معنى العيد في الاسلام

والعيد في الإسلام ، يعني العودة إلى الله عز وجل بنفس وقلب طاهرين ولا يكون هذا إلا بعد عمل عبادي عظيم يؤدي إلى المغفرة والرضوان الإلهي ، فالصيام الذي يستمر شهراً كاملاً ، وفيه ليالي القدر التي يتم إحيائها بالعبادة والتضرع إلى الله عز وجل ، وفيه ربيع القرآن الكريم ، وحيث يسعى المسلم في هذا الشهر الفضيل إلى تلاوته والتدبر فيه ، فبعد هذه الفترة المباركة من صيانة السمع والبصر والقلب عن المحرمات والطاعة لله عز وجل يأتي عيد الفطر المبارك ، وكذلك بالنسبة إلى عيد الأضحى المبارك إذ يقع بعد فترة عبادية هي الحج إلى بيت الله الحرام وأداء العمرة.

ومن مستحبات عيد الأضحى : صلاة العيد والغسل ، وأن يلبس الإنسان أنظف ثيابه ، والدعاء بالمأثور كما ورد في الإقبال : «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد اللهم ربنا لك الحمد كما ينبغي لعز سلطانك وجلال وجهك لا إله إلا أنت الحليم الكريم... إلى آخر الدعاء» ، وورد في كتب الأدعية والزيارات أعمال مستحبة في ليلة عيد الأضحى يومها ومما ورد من المستحبات زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في ليلة العيد ، وروي أن الصادق (عليه السلام) كان يعجبه أن يفرغ نفسه إلى العبادة أربع ليال في السنة ، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى^(١٣٦).

وفي يوم الأضحى المبارك يتذكر المسلم التسليم المطلق لله من قبل النبي إبراهيم ولده إسماعيل (عليه السلام) ، فالأب يصارح ولده البالغ من العمر ١٣ عاماً بالرؤيا التي رآها بأن يذبحه قرباناً لله تعالى ، والولد يسلم لأمر الله بإخلاص والقرآن الكريم ينقل لنا هذا التخاطب الجميل بينهما بقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ

(١٣٦) إقبال الاعمال ، أعمال شهر ذي الحجة.

مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَابْتَ اَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿١٣٧﴾. وبهذا يقدم ابراهيم وابنه اسماعيل أعظم درجة في الحب والعشق الإلهي والتضحية والفداء في سبيل الله ، ولا يسع المجال في هذا المقال أن نبث هذه القصة بكاملها فمن أراد التعرف عليها ، عليه بمراجعة الآيات ١٠٢ - ١١٠ من سورة الصّافات ومعانيها في كتب التفسير.

(٩)

يوم غدیر خم (على ﷺ وصی النبی ﷺ) (١٣٨)

(١٨/ ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ)

أجمع رسول الله ﷺ الخروج إلى الحجّ في سنة عشرٍ من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتّون به في حجّته تلك التي يطلق عليها حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام^(١٣٩)، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله سبحانه.

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورة، وصل إلى غدیر خم من الجحفة، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرائيل الأمين ﷺ عن الله مذكراً بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^(١٤٠)، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات^(١٤١) خمس متقاربات دَوّحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتى إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء. وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أفتاب الإبل^(١٤٢)، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال ﷺ:

أما بعد: أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإني أُوشك

(١٣٨) اقتباساً من كتاب ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة السنة العاشرة للهجرة من إصدار مكتب الإمام الخامنّي في سورية

وقد طبعه المجمع العالمي لاهل البيت بعنوان: الغدير ضمن سلسلة في رحاب اهل البيت (ع).

(١٣٩) الغدير ١ : ٩، إنّ الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، كما أنّ الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.

(١٤٠) المائدة: الآية ٦٧.

(١٤١) سمرات، جمع سمرة: شجرة الطلع.

(١٤٢) المستدرک للحاکم ٣ : ٥٣٣. وجمع الزوائد ٩ : ١٠٦.

أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: «أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟».

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «أيها الناس ألا تسمعون؟» قالوا: نعم.

قال: «فإني فرط^(١٤٣) على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى^(١٤٤)، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين^(١٤٥)».

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله ﷺ؟

قال: «الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّ وجل وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا».

ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها حتى رُوي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه»، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات - ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يفترقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾^(١٤٦).

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي».

ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومُن هنأه في مُقدّمة الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمّست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق القوم.

(١٤٣) الفرط: المتقدم قومه الى الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ١: ٤٥.

(١٤٤) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(١٤٥) الثقل: كل شيء خطير نفيس. راجع تاج العروس للزبيدي ٧: ٢٤٥.

(١٤٦) المائة: ٣.

فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ آياتاً تسمعهنَّ، فقال: «قل على بركة الله». فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله ﷺ في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليكم؟	فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدنّ منالك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله ﷺ: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»، هذا مجمل القول في واقعة الغدير^(١٤٧).

عيد الغدير في التاريخ الإسلامي

لقد تعلّقت المشيئة الربّانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتاب الإسلاميون في كلّ عصر وزمان، ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة، في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ والشعراء في قصائدهم، ويعتبرونها من فضائل الإمام علي عليه السلام الذي لا يتطرق إليها أي شك أو ريب.

إنّ من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحدث العظيم هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها^(١٤٨)، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فسوف تبقى هذه الحادثة حيّة في العقول والقلوب.

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفة، لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى.

وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد^(١٤٩).

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنة)، وهو يوم غدير خم؛ لما أخذ النبي ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: «مَنْ كنت مولاه

(١٤٧) وللتفصيل راجع الغدير للعلامة الأميني قدس سره ج ١.

(١٤٨) المائدة: ٣١ و٦٧.

(١٤٩) ترجمة الآثار الباقية: ٣٩٥، الغدير: ١، ٢٦٧.

فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره»، فقال عمر بن الخطاب: بخ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة^(١٠٠).

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي وجذوره ترجع إلى يوم الغدير نفسه؛ لأن النبي ﷺ أمر المهاجرين والأنصار بل أمر زوجاته ونسائه في ذلك اليوم بالدخول على علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى. يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس^(١٠١).
ويكفي في أهمية هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مئة وعشرة من الصحابة^(١٠٢).

حديث الغدير لا يقبل التأويل

زعم البعض أنّ النبي ﷺ لم يقصد من عمله ومما قاله في يوم الغدير أن ينصب علياً عليه السلام ولياً، بمعنى كونه قائداً للمسلمين وخليفة له من بعده، وإنما أراد أن يبين فضله ومنزلته، فإنّ كلمة الولي تستعمل أيضاً بمعنى الناصر والصديق والحبيب، ولا ضرورة لحملها على الأولوية بالتصرف لتكون بمعنى القائد والحاكم والمتولي لأموار المسلمين.

ولكن ملاحظة ظروف هذا الحدث التاريخي التي صنعها الرسول ﷺ لا تدع مجالاً لهذا التأويل، وتجعله زعماً بلا دليل؛ فإنّ منع الألوف المؤلفة عن المسير وحبسهم في رمضاء الهجير، والاهتمام بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر عنهم، وأمرهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب عنهم، ونعي نفسه المباركة إليهم، وأخذ الإقرار منهم بالتوحيد والرسالة والمعاد، وأنّه الأولى بهم من أنفسهم، إنّما ينسجم كلّ هذا مع قصده ﷺ لبيان أمر مهمّ جداً، فإنّ كلّ إنسان يفهم أنّه ﷺ من هذا الاستعداد والإعداد إنّما كان يقصد أمراً مهمّاً في غاية الأهمية، ويرتبط به مصير الأمة أيّما ارتباط.

هذا فضلاً عن تهديد الله سبحانه له بأنّه إن لم يبلغ هذا الأمر المهم فكأنّه لم يبلغ رسالته التي جاهد لها ليل نهار طيلة ثلاثة وعشرين عاماً..

بيان وتحليل للواقعة

الإسلام دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة تتضمن كل ما تحتاجه البشرية في الحياة. وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم ﷺ ما دام حيّاً، ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا

(١٥٠) راجع تاريخ بغداد ٨: ٢٩٠ وتاريخ دمشق: ٧٥/٢ و٥٧٥.

(١٥١) راجع الغدير ١: ٢٧٠، رواه عن أحمد بن محمد الطبري.

(١٥٢) الغدير ١: ٦١ و٣١٤.

للأمة بعد النبي ﷺ ، وتوكل هذا الأمر إلى الصدف والأهواء والرغبات أو إلى الاجتهادات الشخصية للصحابة الذين تختلف آراؤهم واجتهاداتهم واتجاهاتهم حيث ينتهي الأمر حينئذ بلا ريب إلى الاختلاف والتشتت وانحيار الدولة الإسلامية بشكل عام.

فلا يمكن للرسول الخاتم لمسيرة المرسلين جميعاً وللشريعة الإسلامية الخالدة أن يهمل هذا الأمر الخطير.

ومن هنا كان التنصيب من سيد المرسلين ﷺ على من يتحمل مسؤولية القيادة من بعده أمراً طبيعياً ولازماً ومتوقعاً للمسلمين جميعاً.

فمن هذا الذي نصّ الرسول ﷺ على أنّه القائد للأمة الإسلامية من بعده؟ ومتى نصّ الرسول ﷺ على ذلك؟ وكيف تم هذا التنصيب منه؟

إن أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يعتقدون بأن القيادة العليا للأمة الإسلامية وخلافة الرسول ﷺ منصب ربّاني ينصّ عليه الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى ولم يتركه الله ورسوله إلى الانتخاب الشعبي والرأي العام ما دام الرسول القائد وخليفته يحكمان الشعب باسم الله تعالى وباسم دينه القويم..

وقد اختار الله ورسوله أفضل أفراد الأمة بعد الرسول ﷺ ونصّ على إمامته وقيادته للأمة من بعده ، منذ بدايات الدعوة الإسلامية وظلّ يواصل طرحها ويمهّد لها ولطرحها العام خلال العهدين المكي والمدني بدءاً بيوم الإنذار وإلى يوم رجوعه من حجة الوداع بل وبشكل خاص في الثامن عشر من ذي الحجة السنة ١٠ للهجرة بعد إنذار إلهي صريح وفيما بعد ذلك وحتى في يوم ارتحاله ﷺ.

بينما يرى الخط الذي استلم الحكم بعد الرسول ﷺ أن الخلافة لم تكن منصباً ربّانياً ولا حاجة للتنصيب فيها ، بل يمكن لأن تقرر من قبل المسلمين حتى عدد قليل منهم لتكون الخلافة لهذا الشخص أو ذاك.

إن الأوضاع السياسية داخل الدولة الإسلامية وخارجها قبيل وفاة النبي ﷺ كانت تتطلب أن يعيّن النبي ﷺ بأمر من الله تعالى خليفة له من بعده ؛ إذ المنافقون وأهل الكتاب في داخل أراضي الدولة الإسلامية من جهة ، والدولة البيزنطية وسائر القوى المشتركة خارج الدولة الإسلامية من جهة أخرى كانوا يشكّلون عدة مراكز للخطر الداهم ضد المسلمين.

إنّ هذا الوضع الاجتماعي والسياسي يفيد: أنّه كان ينبغي للرسول الأعظم ﷺ أن يمنع من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق في المجتمع من بعده ، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية ، وذلك بإيجاد حصن قوي متين حول تلك الأمة ، من خلال تعيين قائد كفوء لها ليمنعها من التشتت والفرقة واختلاف الكلمة وتنازع الأهواء.

فإنّ تحصين الأمة ، وصيانتها من الحوادث المشؤومة ، وعدم السماح لأصحاب الأهواء ليطالب

كل فريق بالزعامة لنفسه ، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة والحكم وقيادة الأمة سياسياً لم يكن ليتحقق إلا بتعيين قائد كفوء للأمة من قبل مكوّن الأمة وربّانها وقائدها الأوّل ، وعدم ترك الأمور للصّدَف والأهواء.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «ضرورة التنصيب على القائد بعد رسول الله ﷺ» وتحققها وعمل الرسول ﷺ بها.

ومن هنا نعرف السرّ في طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية ، يوم لم يكن قد انضوى تحت راية رسالته سوى عدد قليل جداً ممّن أعلن إسلامه وآمن برسالة ربّه. كما نعرف السرّ في مواصلة طرحها من قبله ﷺ والتذكير بها طوال حياته وحتى الساعات الأخيرة منها.

وقد كان أبرزها يوم الثامن عشر من ذي الحجة السنة العاشرة للهجرة ، الذي عرف فيما بعد بيوم غدیر خُم.

الاستشهاد بالواقعة :

وقد استشهد أمير المؤمنين ﷺ بهذه الواقعة العظيمة أمام الناس كافة في زمن خلافته عدة مرات - كما ذكر ذلك المؤرخون - منها ما روي عن زيد بن أرقم قال : نشد علي الناس في المسجد فقال : أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر بديراً ، ستة من الجانب الأيمن ، وستة من الجانب الأيسر ، فشهدوا بذلك.

قال زيد بن أرقم : «وكنّا أنا فيمن سمع ذلك فكتمته ، فذهب الله ببصري» ، وكان يتندّم على ما فاتته من الشهادة ويستغفر^(١٥٣).

ومن ذلك أيضاً ما روي عن طلحة بن عَمِيرة قال : نشد علي ﷺ الناس في قول النبي ﷺ : «من كنت مولاه فعلي مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار ، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد ، فقال له أمير المؤمنين ﷺ : يا أنس ، قال : لبيك ، قال : «ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا» ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت ونسيت ، فقال أمير المؤمنين ﷺ : «اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض - أو بوضّح - لا تواريه العمامة» قال طلحة بن عَمِيرة : فأشهد بالله لقد رأيته بياض بين عينيه^(١٥٤).

(١٥٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٤.

(١٥٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٤ - ٢١٧/١٩ ، ٣٢٠ ، وحديث من كنت مولاه ومناشدة أمير المؤمنين ﷺ يطلب من كتاب الغدير الجزء الأول.

(١٠)

شهادة ميثم التمار رحمته

(٢٢/ ذي الحجة/ السنة ٦٠ هـ)

وهو من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان الإمام عليه السلام يخرج من جامع الكوفة ويجلس عند ميثم فيحادثه. وروي أنه كان عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، وقال له: ما اسمك، قال: سالم، قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله وصدق رسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي، قال فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم.

قال له علي عليه السلام ذات يوم: ألا أبشرك يا ميثم؟ قال: بماذا يا مولاي؟ قال: بأنك تموت مصلوباً، قال: يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام؟ فقال: نعم يا ميثم، فقال له: تريد أن أريك الموضع الذي تصلب فيه والنخلة التي تعلّق عليها وعلى جذعها؟ قال: نعم يا علي فجاء به إلى رجة الصيارفة فقال له: ها هنا. ثم أراه النخلة فكان يتعاهدها ويصلي عندها حتى قطعت وشقت نصفين فنصف تنصف منها وبقي النصف الآخر، فما زال يتعاهد هذا النصف ويصلي في الموضع ويقول لبعض جوار الموضع: يا فلان إني أجاورك عن قريب فأحسن جواري. فيقول ذلك الرجل في نفسه يريد ميثم: يشتري داراً في جواره.

وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين، قالت هو في حائط له، قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، فدعت له بطيب فطيب لحيته، وقالت له: أما إنها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة فأخذه جلاوزة عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيلاً: هذا كان من أثر الناس عند علي، قال: ويحكم، هذا الأعجمي! قيل له: نعم، قال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة. قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد، ما أخبرك صاحبك أنني فاعل بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لنخالفنه،

قال : كيف تخالفه؟ فوالله ما أخبرني إلا عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى ، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة ، وأنا أول خلق الله أُلجم في الإسلام ، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد ، فقال ميثم للمختار : إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا.

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخليه سبيله ، فخلاه وأمر بميثم أن يصلب ، فأخرج. فقال له رجل لقيه : ما كان أغناك عن هذا يا ميثم ! فتبسم وقال وهو يُؤمِّي إلى النخلة : لها خلقتُ ولي غُذيتُ.

وكان مقتل ميثم رحمة الله عليه قبل قدوم الحسين ﷺ العراق بعشرة أيام ، فلما كان اليوم الثالث من صلبه ، طعن ميثم بالحربة فكبر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دمأً. فمقتله إذن في نهاية شهر ذي الحجة من عام ٦٠ هـ.^{١٥٥}

^{١٥٥} (نقلًا عن موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية. ط.مكتب الإمام الخامنئي في سورية .

يوم المباهلة مع نصارى نجران

(٢٤/ ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ)

إن يوم ٢٤ من شهر ذي الحجة السنة العاشرة هو يوم المباهلة على الأشهر^(١٥٦)، والقضية كما يلي:

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي ﷺ الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه عليه ﷺ فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي ﷺ العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «عبد الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له - يا محمد - أباً ولده؟ فقال النبي ﷺ: «لم يكن عن نكاح فيكون له والد»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ❖ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ❖ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ فتلاها النبي ﷺ على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال ﷺ: «إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك»^(١٥٨) فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي ﷺ وقد اكتسى بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء، علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، وقال: «اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب

(١٥٦) المشهور أن يوم المباهلة كان بعد فتح مكة واختلف العلماء في سنة الواقعة ويومها.

(١٥٧) آل عمران: الآيات ٥٩ - ٦١.

(١٥٨) الإرشاد ١: ١٦٦.

عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً» ، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم ، ثم خرج النبي ﷺ ، بهم ﷺ للمباهلة ، فلما بصر بهم النصارى ، ورأوا منهم الصدق ، وشاهدوا أمارات العذاب ، لم يجرؤوا على المباهلة ، فطلبوا المصالحة ، وقبلوا الجزية عليهم.

فصالحهم النبي ﷺ على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جيداً ، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك ، وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بما صالحهم عليه.

والخلاصة: إن هذا اليوم يوم شريف ، وفيه عدة أعمال: الأول الغسل ، الثاني الصيام ، الثالث الصلاة ركعتين كصلاة عيد الغدير ، وقتاً وصفة وأجراً ، ولكن فيها تقرأ آية الكرسي إلى (هم فيها خالدون) ، والرابع أن يدعو بدعاء المباهلة^(١٥٩).

(١٢)

تصدق الإمام على عليه السلام بالخاتم^{١٦٠}

(٢٤/ ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ)

هذا اليوم هويوم تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم ، في حال الركوع ونزول قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١٦١).

جاء في تفسير (مجمع البيان) ، وتفاسير وكتب أخرى ، نقلاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في حوار جرى بينهما في المسجد الحرام أمام الناس أنه قال : أيها الناس من لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بأذني هاتين وإلا صُممتا ، ورأيت بعيني هاتين وإلا كفتا ، أنه قال : «علي قائد البرة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله».

وأضاف أبو ذر رضي الله عنه أنه كان في أحد الأيام يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله فدخل سائل إلى المسجد وطلب إعانة من الناس ، لكن لم يقدم له أحد شيئاً ، فرفع هذا السائل يده إلى السماء وقال : «اللهم اشهد بأني طلبت العون في مسجد رسولك ولم يرد عليّ أحد بشيء» ، وكان علي عليه السلام يصلي في ذلك الوقت وهو في حالة الركوع ، فأشار بخنصره الأيمن ، فتقرب السائل فانتزع خاتماً كان في تلك الخنصر ، وقد شاهد النبي صلى الله عليه وآله ذلك وهو في حالة الصلاة وما أن فرغ صلى الله عليه وآله من صلاته حتى رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه قائلاً ، بما مضمونه : «اللهم إن أخي موسى سألني أن تشرح له صدره وتيسر له أمره وتحلل عقدة من لسانه ليفقه الناس قوله وسألك أن تجعل هارون أخاه وزيراً له ليشد أزره ويشاركه في أمره ، اللهم وإني نبيك الذي اصطفيته ، فاشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واجعل لي من أهلي علياً عليه السلام وزيراً لتشدّ به أزرى...».

قال أبو ذر : «وما كاد النبي صلى الله عليه وآله ينهي دعاءه حتى نزل عليه جبريل وقال له : اقرأ.. فسأل النبي صلى الله عليه وآله : ماذا أقرأ؟ قال : اقرأ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾».

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة ومصادر أهل السنة ، وقد صرح البعض بقصة التصديق بالخاتم واكتفى آخرون بتأييد نزول الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل هذه الروايات ثلة من كبار

^{١٦٠} نقلاً عن موسوعة المناسبات الإسلامية والعالمية. ط. مكتب الإمام الخامنئي في سورية .

الصحابة كابن عباس ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله ابن سلام ، وسلمة بن كهيل ، وأنس بن مالك ،
وعتبة بن حكيم ، وعبد الله بن أبيّ ، وعبد الله بن غالب ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبي ذر
الغفاري.

ونقل صاحب (غاية المرام) ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة و١٩ حديثاً عن طريق الشيعة^(١٦٢) ،
والقضية بدرجة من الوضوح بحيث أن حسان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية في قالب شعري من
نظمه قاله في حق أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول :

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راکعاً زكاة فدتك النفس يا خير راکع
فأنزل فيك الله خير ولاية ويُنْهَها في محكمات الشرائع

(١٦٢) لمزيد الاطلاع راجع تفسير الأمثل : ٤ ، في تفسير الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(١٣)

نزول سورة الإنسان في أهل البيت عليه السلام

٢٥ / ذي الحجة

يوم شريف ، وهو اليوم الذي نزلت فيه سورة ﴿هَلْ أَتَى﴾ في شأن أهل البيت عليه السلام لأنهم كانوا قد صاموا ثلاثة أيام ، وأعطوا فطورهم مسكيناً ، ویتيماً وأسيراً ، وأفطروا على الماء ، وينبغي لشيعه أهل البيت عليه السلام ، في هذه الأيام ، ولا سيما في الليلة الخامسة والعشرين ، أن يتأسوا بمولاهم في التصديق على المساكين والأيتام ، وأن يجتهدوا في إطعامهم ، وأن يصوموا هذا اليوم^(١٦٣).

وفي هذه الآيات المباركة من سورة الإنسان (الدهر) يتحدث القرآن عن أهل البيت عليه السلام ويضعهم في قمة الإيثار والتقوى ، ويعرضهم نماذج وقدوة للبشرية لتقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم.. فالحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآيات المباركة تشير إلى مقام أهل البيت عليه السلام ، وتساميتهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرد الكامل لله تعالى ، وأنهم هم الأبرار المبشرون بالجنة ، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حشر معهم.

فقد أورد الزمخشري وغيره من المفسرين في تفسير هذه الآية ، رواية الإطعام بكاملها^(١٦٤).

(١٦٣) مفاتيح الجنان : أعمال اليوم الخامس والعشرون.

(١٦٤) أورد الفخر الرازي في التفسير الكبير نفس الرواية عن الكشاف ، كما أوردها عن الواحدي.

(١٤)

البيعة لعلی أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

(٢٥/ ذي الحجة / السنة ٣٥ هـ)

علي عليه السلام والخلافة

لما وجد أمير المؤمنين عليه السلام أن الأمة قد تقاعست عن نصرته والثبات على موقفها الذي أبدته بحضور الرسول صلی الله علیه وآله في يوم الغدير، وجد أنه بين أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يرفع السيف مطالباً بحقه المشروع فيصاب الإسلام الذي دافع عنه طيلة حياته مع رسول الله صلی الله علیه وآله بكل غال ونفيس، أو يكظم غيظه ويصبر حفاظاً على كرامة الدين وقوته وهو لا يزال غضاً طرياً. قال عليه السلام: «وظفت أرثني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الخلق شجى، أرى تراثي نهياً»^(١٦٥).

وقال أيضاً عليه السلام: «لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة».

فصبر علي عليه السلام كان على حساب حقه الخاص في الخلافة والحاكمية على الأمة الإسلامية لأجل مصلحة الإسلام العليا، قال عليه السلام: «ولئلا يصاب الدين بما تكون مصيبته عليّ أعظم من إمرتكم هذه».

إننا نقرأ في موقفه العظيم الشجاع هذا ما يوازي مواقفه البطولية الكبيرة في الذود عن الدين بين يدي الرسول صلی الله علیه وآله، فليس الصبر في مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة بأقل مقاماً ومنزلة من مواقفه عليه السلام مع عمرو بن عبد ود المشركين ومرحب اليهود.

لقد بقيت المدينة أياماً بعد قتل عثمان والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وهو يأبى وظلّ يأبى حتى ازدحم الناس وألحوا عليه، وقالوا له: «لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف». ثم أخذ الأشر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي.

وهتف الناس باسم علي عليه السلام على عادة الناس إذ يولون عليهم خبيراً بحاجاتهم مؤمناً بحقهم خالصاً لهم، عالماً حكيماً أباً كريماً. وسرّوا بقبوله الولاية حتى لكأنهم يطلون على أمل لا ينتهي بعد أن عاشوا طويلاً في ظلمات دامسات من المهانة والحرمان.

(١٦٥) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

وقد وصف هو نفسه ببعته بالخلافة وصفاً جميلاً قال : «بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب»^(١٦٦).

وبدأ علي من يومه الأول يجتد قواه للإصلاح ويقوم ما أعوج من شؤون الناس. فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يرى فيهم من يصلح للبقاء في عمله. وامتنع قوم عن بيعته من القرشيين وأصحاب الوجاهات والطامعين بالحكم، فهم يحقدون عليه إما حسداً وإما انتقاماً لزعامة ونفوذ وجاه يرغبون فيها ولا سبيل لها على يديه

أجل.. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه المشاكل التي اعترضت خلافته بمنتهى الحكمة والسياسة الرشيدة، وإذا لم يكتب له النجاح في خلافته فمرد ذلك إلى عدة أسباب، أهمها أنه تولى الخلافة من المسلمين ولكنهم لم يجتمعوا على هدف واحد وغاية واحدة، وفي هذا الجو المحموم ووسط تمرّد وتحد وكره من أكثر القرشيين ومن الأمويين، وفي مناخ سادت فيه المصالح على جميع القيم واستعملت فيه الأموال لشراء الضمائر والأنصار.

لذلك كله كان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخفى أن مرد ذلك كله لأن علياً عليه السلام لم يهادن أحداً على حساب الإسلام، أو يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنة رسوله وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل.

إن علياً عليه السلام كان يرى أن أقل ما يُطلب من خليفة رسول الله أن يحمي شريعة الله من التلاعب والأرض من الفساد، ويحتفظ بخيرات الأرض لا لفئة من الحاكمين ولا لفريق دون فريق، وقد عمل على ترسيخ هذه المبادئ وتنفيذها بدون هوادة ولم ينحرف عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله^(١٦٧).

(١٦٦) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة، وهدج: مشى مشية الضعيف، والكعاب جميع كاعب وهي:

الجارية إذا بلغت ونهد صدرها. وحسرت: كشفت عن وجهها.

(١٦٧) راجع كتاب الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية.

واقعة الحرّة في المدينة

(٢٨/ ذي الحجة/ السنة ٦٣ هـ) (١٦٨)

وهي حادثة مؤلمة مشهورة وقعت في عام ٦٣ هجرية، استباح فيها يزيد بن معاوية مدينة الرسول ﷺ وكانت أول واقعة يتمرد فيها أهل المدينة على حكومة يزيد بن معاوية بعد واقعة الطف، استنكاراً لمقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ورفضاً للسيادة الأموية على مقدّرات المسلمين، وانتهت الواقعة بسيطرة جيش الشام واستباحته المدينة ثلاثة أيام فكثر القتل^(١٦٩) والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض، خلافاً لتحذيرات رسول الله ﷺ المتكررة من الاعتداء على أهل المدينة حيث قال ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١٧٠) ولما مرّ رسول الله ﷺ بالحرّة وقف فاسترجع، وقال: «يُقتل في هذه الحرّة خيار أمتي»^(١٧١).

العوامل والأسباب للواقعة

كان معاوية يستخدم الشدّة مع اللين في سياسته مع أهل المدينة، كما وكان مدارياً للأنصار بأساليب عديدة من إغراء وخداع وترغيب وإذا لم تنفع هذه فيأتي دور التهيب، فأبقى أحقادهم وكراهيتهم لحكمه في نطاق المعارضة السلمية، واما في عهد يزيد، فتحوّلت المعارضة السلمية الى معارضة مسلحة أفرزتها الممارسات السلبية التي ارتكبها يزيد في سنوات حكمه القليلة.

منها: نشر الفسق والفجور والفساد حيث اشتهر يزيد بولعه بالمعازف وشرب الخمر والغناء واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلاّ ويصبح فيه مخموراً، وكان يشدّ القرد على مسرحية ويسوق به ويلبسه قلانس الذهب^(١٧٢).

(١٦٨) سجّل هذا التاريخ للواقعة كتاب (موسوعة التاريخ الاسلامي ٦: ٢٥٣) عن الإمامة والسياسة ١: ٢٢ وفي تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥.

(١٦٩) وقد دفن هؤلاء الشهداء في مقبرة البقيع بجوار شهداء أحد في المدينة المنورة.

(١٧٠) تاريخ الإسلام ٢٦.

(١٧١) الإمامة والسياسة: ١: ٢١٩.

(١٧٢) البداية والنهاية ٨: ٢٣٥.

ومنها: مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وخيرة الصحابة والتابعين : و كان ذلك ذا أثر كبير على نفوس أهل المدينة ؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام يمثل القيادة الحقيقية للمسلمين ، والأمل المنشود في إعادة الإسلام الى ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ مضافاً الى الحب والتكريم الذي يكنّه أهل المدينة له باعتباره ابن بنت رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي وقف أهل المدينة معه في جميع أدوار مسيرته التاريخية ، فزادته كراهية أهل المدينة خصوصاً والمسلمين عموماً للحكم الأموي بمقتل الحسين عليه السلام تلك القتلّة المأساوية ، من قتل الكبار والصغار ، وما رافقها من تمثيل مجثث القتلّى واقتياد بنات رسول الله ﷺ سبايا الى الكوفة ثم الى الشام ، وحمل رؤوس الشهداء على الرماح ، وضرب عبيد الله بن زياد لثغر الحسين عليه السلام بالقضيب^(١٧٣).

إن هتك حرمة الإسلام بمقتل سبط رسول الله ﷺ لم يُبق لأحد حرمة بعده ، ومما زاد في كراهية أهل المدينة ليزيد وتحريك ضمائرهم باتجاه التمرد على حكم يزيد قيام الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعمته زينب عليها السلام وزوجة أبيه الرباب بإثارة المظلومية وإبراز تفاصيل الظلم الذي تعرض له الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ، فحرّكت تلك المظلومية كوامن الغضب والكراهية ، فتضافرت جميع الوقائع في إنضاج الموقف الثوري ، وفي ذلك يقول الدياربركري : «إن أكابر أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد لسوء سيرته ، وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين»^(١٧٤).

ولم يكتف يزيد بمقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته ، بل تسافل في موبقاته ليعلن بصراحة ما يختلج في خاطره من مفاهيم واعتقادات ومن أهداف أراد تحقيقها فتحققت أولى خطواتها بمقتل الحسين عليه السلام ، فحينما شاهد يزيد رؤوس الشهداء على المحامل لم يتمالك خواطره وأفصح عن سريره في شعره الذي يقول فيه :

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني^(١٧٥)

فأثبت يزيد أن دوافع قتل الحسين دوافع جاهلية تعود إلى طلب ثأر المشركين الذين قتلهم رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام ، وتأسف يزيد على قتل المشركين في معركة بدر وتمنّى حضورهم لمشاهدة أخذ الثأر فأنشد شعراً له أو لغيره متمثلاً به :

(١٧٣) تاريخ الطبري ٥ : ٤٥٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٩ - ٨٠.

(١٧٤) تاريخ الخميس ٢ : ٣٠٠.

(١٧٥) روح المعاني ٢٦ : ٧٣.

ليست أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا لي هنيئاً لا تُشَل^(١٧٦)

وقد أضاف ابن العماد الحنبلي بيتاً آخر ليزيد :

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل^(١٧٧)

سير أحداث واقعة الحرة

ولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة وهو فتى حدث ، لم يمر بتجربة في التعامل مع الأفراد أو التعامل مع الأحداث ، فأرسل وفداً من أهل المدينة إلى يزيد ومنهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي فأكرمهم يزيد بالعطايا ، ولكن ذلك لم يمنعهم من إظهار مساوئه المخالفة للمنهج الإسلامي التي اطلعوا عليها مباشرة ، فلما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعييه وقالوا : «..قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب». وقال ابن حنظلة موضحاً دوافع الثورة : «.. فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة»^(١٧٨).

واتفقوا هؤلاء على خلع يزيد ، ومنعوا من وصول الحنطة والتمر إلى الشام ، فلما سمع يزيد بالخبر بعث الجيوش إليهم ، فأعلنوا العصيان المسلح وتهيأوا للمقاومة وحصروا بني أمية ومواليهم وكانوا ألفاً ثم أخرجوهم بعدما أخذوا منهم الموائيق أن لا يظاهروا عدوهم عليهم.

أوصى يزيد قائد الجيش مسلم بن عقبة : «أدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثاً».

وقام أهل المدينة بحفر خندق حولها ، وحين وصول جيش الشام ؛ خان مروان وأبناؤه الميثاق ، وظاهروا الجيش على قتال أهل المدينة ، وأقنعوا بني حارثة بإدخال جيش الشام من جهتهم ، فدخل إلى جوف المدينة ، فكان الهجوم على أهلها من الأمام ومن الخلف ثم من الجهات الأربع ، فحوصرت المدينة ، لكن أهلها استبسلوا بالقتال واستطاع عبد الله بن حنظلة أن يهزم كل من توجه إلى قتاله إلى أن

(١٧٦) البداية والنهاية ٨ : ١٩٢ .

(١٧٧) شذرات الذهب ١ : ٦٩ .

(١٧٨) تاريخ الخلفاء : ١٦٧ ، تاريخ الإسلام : ٢٧ .

قُتل أخوه وأبناءؤه العشرة ، وبعد مقتلهم انهزم أهل المدينة ، واستطاع الجيش الأموي إخماد حركتهم وأباح قائداهم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال ، ودعى ابن عقبة أهل المدينة إلى البيعة على أنهم عبيد ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم فمن أبى البيعة بهذه الصورة قُتل ، واستثنى من ذلك الإمام علي بن الحسين عليه السلام واستطاع عليه السلام أن يشفع لبقية أهل المدينة ، وأنقذهم من القتل ^(١٧٩).

نتائج الحقد الأموي على المدينة وأهلها :

أولاً : عدد القتلى : استمرّ الجيش الشامي بإبادة أهل المدينة وإكثار القتل فيهم ثلاثة أيام ، حتى بلغ العدد الذي أحصى يومئذٍ «من قریش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبعمائة ، ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان» . «وقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثمانون رجلاً ، ولم يبق بدريّ بعد ذلك وفي رواية ابن أعثم (٦٥٠٠) ورواية المسعودي (٤٢٠٠)» ^(١٨٠).

ومن الوجوه البارزة التي قتلت في الواقعة : عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأبناءؤه العشرة وأخوه وغيرهم من أبناء الصحابة وبقية الصحابة من حملة القرآن ومن المشاركين في بدر ، حتى كانت الحرّة نهاية للبدرين جميعاً وقتل فيها (سبعمائة من حملة القرآن) ^(١٨١).

ثانياً : الاعتداء على النساء والأطفال : لم يرع الجيش الشامي أية حرمة للنساء والأطفال ، فاستقبلوا أوامر الإباحة باندفاع منقطع النظير ، وحولوها إلى واقع ملموس ، فبعد هزيمة أهالي المدينة (افتض فيها ألف عذراء) وأنه «حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج» ^(١٨٢).

ودخلت الجيوش الشامية أحد البيوت فلم يجدوا فيها إلا امرأة وطفلاً ليس لديها مال أخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه وقام أحد جنود الشام بتكرار العملية حينما ضرب ابناً لابن أبي كبشة الأنصاري بالحائط فانتثر دماغه في الأرض ^(١٨٣).

ثالثاً : النهب والسلب : استمر جيش الشام بالنهب والسلب ثلاثة أيام فما تركوا مالاً او ممتلكات عينية إلا أخذوها.

رابعاً : انتهاك المقدسات : لم يرع جيش الشام أي حرمة للمقدسات الإسلامية ، فكان الجيش

(١٧٩) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٥ ، الكامل في التاريخ.

(١٨٠) الفتوح ٥ : ١٨١ . مروج الذهب ٣ : ٧٠ .

(١٨١) تاريخ الإسلام ، للذهبي : ٣٠ .

(١٨٢) تاريخ الخلفاء : ١٦٧ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٢١ .

(١٨٣) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٥ ، المحاسن والمساوي ١ : ١٠٤ .

يخاطب بقايا المهاجرين والأنصار (يا يهود)^(١٨٤). وسمى ابن عقبة المدينة «نتنة وقد سماها رسول الله ﷺ طيبة»^(١٨٥).

وحينما وصلت الأخبار الى يزيد وفي رواية حينما ألقيت الرؤوس بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^(١٨٦)

وسبق ليزيد أن تمثل بهذه الأبيات حينما وصل إليه رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا كانت الواقعة تعبيراً عن الحقد الذي يكتنه الأمويون للأنصار منذ واقعة بدر، والذي ظهر في توجيهات يزيد لابن عقبة قبل الواقعة: «فإذا قدمت المدينة فمن عاقلك على دخولها أو نصب لك الحرب، فالسيف السيف، أجهز على جريحهم وأقبل على مدبرهم وإياك أن تبقي عليهم»^(١٨٧).

(١٨٤) أنساب الأشراف: ٣٢٧.

(١٨٥) مروج الذهب ٣: ٦٩.

(١٨٦) أنساب الأشراف: ٣٣٣، العقد الفريد ٥: ١٣٩.

(١٨٧) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٩.

(١٦)

يوم الختام للسنة الهجرية القمرية

اليوم الأخير من ذي الحجة

اليوم الأخير من ذي الحجة هو الختام للسنة الهجرية القمرية ، وقد ذكر المحدث القمي في مفاتيح الجنان عن السيد في الإقبال ، أنه يصلّي فيه ركعتان ، بفاتحة الكتاب وعشر مرات سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وعشر مرات آية الكرسي ثم يدعى بعد الصلاة بهذا الدعاء : «اللَّهُمَّ مَا عَمِلْتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ عَمَلٍ نَهَيْتَنِي عَنْهُ وَلَمْ تَرْضَهُ وَنَسِيتُهُ وَلَمْ تَنْسَهُ وَدَعَوْتَنِي إِلَى التَّوْبَةِ بَعْدَ اجْتِرَائِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْهُ فَاغْفِرْ لِي وَمَا عَمِلْتُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ فَاقْبَلْهُ مِنِّي وَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ يَا كَرِيمُ».

فإذا قلت هذا : قال الشيطان : يا ويلي ما تعبت فيه هذه السنة هدمه أجمع بهذه الكلمات ، وشهدت له السنة الماضية أنه قد ختمها بخير^(١٨٨).



والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المتتبعين.

ليوب الحائري

قم المقدسة - رجب الحرام - ١٤٣٠ هـ ق

(١٨٨) راجع مفاتيح الجنان : أعمال أواخر ذي الحجة ، .

اهم مصادر الكتاب

القران الكريم

نهج البلاغة

الإرشاد / للشيخ المفيد.

الغدير / للعلامة الاميني .

مسند أحمد / لابن حنبل.

تاريخ الإسلام / للذهبي .

أنساب الاشراف / للبلاذري .

السيرة النبوية / لابن هشام.

البداية والنهاية / لابن كثير .

مروج الذهب / للمسعودي .

الكامل في التاريخ / لابن اثير.

بلاغات النساء / لابن طيفور .

المحاسن والمساوئ / للبيهقي.

الإمامة والسياسة / لابن قتيبة.

الكشاف / لجار الله الزمخشري.

بحار الأنوار / للعلامة المجلسي.

وسائل الشيعة / للحر العاملي.

تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي.

اصول الكافي / للكليني الرازي.

فروع الكافي / للكليني الرازي.

روضة الكافي / للكليني الرازي.

تذكرة الخواص / للسبط الجوزي.

المغازي / لمحمد بن عمر الواقدي .

الاصابة / لابن حجرالعسقلاني .
سيرة الحلبيه / للحلبي الشافعي .
ذخائر العقبي / لمحب الدين الطبري .
المناقب / لضياء الدين الخوارزمي .
تاريخ الطبري / لابن جرير الطبري .
تاريخ الخميس / لحسين الدياربكري .
صحيح البخاري / لمحمد بن اسماعيل .
تفسير نورالثقلين / للعروسي الحويزي .
تاريخ قم / للحسين بن محمد القمي .
تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي .
مفاتيح الجنان / للشيخ عباس القمي .
المجالس السنية / للسيد محسن الامين .
التفسير الكبير / لفخر الدين الرازي .
تفسير القمي / لعلي ابن ابراهيم القمي .
روضة الواعظين / للفتال النيسابوري .
كشف الغمة / لعلي بن عيس الاربلي .
العقد الفريد / لابن عبد ربه الاندلسي .
تاريخ دمشق / لابن عساكر الدمشقي .
شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي .
تاريخ الخلفاء / لجلال الدين السيوطي .
مجمع الزوائد / لعلي ابن ابي بكر الهيثمي .
تهذيب التهذيب / لابن حجرالعسقلاني .
الصواعق المحرقة / لابن حجرالعسقلاني .
اللهوف / لعلي بن موسى بن طاووس .
مقاتل الطالبين / لابي الفرج الاصفهاني .
إعلام الوری / لفضل بن الحسن الطبرسي .
شرح نهج البلاغة / لابن ابي الحديد المعتزلي .
الميزان في تفسير القرآن / للعلامة الطباطبائي .

الأمثل في تفسير القرآن / للمكارم الشيرازي .
جامع احاديث الشيعة / للسيد البروجردي .
روح المعاني / لمحمود بن عبد الله الألوسي .
امالي الطوسي / لمحمد بن حسن الطوسي .
الخرائج والجرائح / لقطب الدين الراوندي .
الإمام علي (ع) ، ادوار ومواقف / للمؤلف .
المناسبات النبوية ، ادوار ومواقف / للمؤلف .
صحيح مسلم / لمسلم بن الحجاج النيسابوري .
إقبال الاعمال / لعلي بن موسى بن طاووس .
مستدرك الوسائل / للعلامة النوري الطبرسي .
الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد الزهري .
موسوعة التاريخ الإسلامي / لليوسفي الغروي .
الإصابة في معرفة الصحابة / لابن حجر العسقلاني .
موسوعة المناسبات الاسلامية والعالمية / للمؤلف .
ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة / للمؤلف .
عيون أخبار الرضا عليه السلام / لمحمد بن بابويه (الصدوق) .
دور اهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة / للشهيد السيد باقر الحكيم .
لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام واخته السيدة فاطمة المعصومة / للمؤلف .

الفهرس التفصيلي للكتاب

.....

.....